المعرفة عند جون سيرجينت

إعـــداد
د. مصطفى فواز صديق مناع
مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة
كلية الآداب - جامعة أسيوط
Email: mustafafawaz@aun.edu.eg
DOI: 10.21608/AAKJ.2024.261372.1641

تاريخ الاستلام: ٨/ ١/٢٠٢٤م
تاريخ القبول: ٢٥/ ٢/٢٠٢٤م

ملخـــص:

يدور هذا البحث حول المعرفة عند جون سيرجينت "١٦٢٣- ١٧٠٧م"، وهو ذلك الفيلسوف الإنجليزي والكاهن الكاثوليكي الذي ظهرت مواهبه في وقت مبكر كشخص مثير للجدل، والذي قال عنه كُتاب سيرته إنه توفي بقلم في يده؛ وهو صاحب التوجهات المختلفة والآراء المعارضة لديكارت ولوك، حيث إنه رفض مشروع ممارسة الفلسفة من المنظور الديكارتي، ووجد أن الخطأ الأكبر في منهج ديكارت ولوك في البحث عن المعرفة يكمن في الطريقة التي يرجعون بها إلى الأفكار. كما أنه استخدم مصطلح العلم بشكل فضفاض للإشارة إلى أية مجموعة من المعرفة المنظمة، ومن ثم كان اليقين هو سمة المعرفة الحقيقية عنده، وكان يرى أن نقطة البداية الأساسية لجميع مجالات المعرفة التي ترغب في تحقيق اليقين المطلوب هي الفكرة أو شرح موضوعات هذا المجال كما هي موجودة في العقل. ومن ثم بيَّنا ما الفكرة عنده؟ وكيف تعمل في نظريته المعرفية؟ وأن الفكرة هي طريقته في السعي إلى بناء العلم أو أي مجال من مجالات المعرفة على أساس قوي، وأن القاعدة الرئيسة للمعرفة عنده هي أن الفكرة هي الشيء أو الموضوع نفسه بما يتناسب مع فهمنا له؛ ومن ثم سوف نتعرض للتطور الفكري والمعرفي في حياته، والعلاقة بين الأفكار والكلمات، وكذلك الأفكار التمثيلية ومعرفة الموضوعات الخارجية، وكذلك حجته ضد المعرفة عن طريق الأفكار، والخلاف بينه ومعاصره لوك حول الأفكار، والأحكام وحقيقة المعرفة، والمعرفة العلمية والحجة البرهانية عنده. وإننا هنا لا نقصد إحياء ذكراه فقط، ولكن بالأحرى الإشارة إلى أن نقده لديكارت ولوك سوف يساعد في تجميع وربط أجزاء الفكر الفلسفي.

أما عن سبب إختيار الموضوع: فهو التعرُّف على جون سيرجينت كنموذج من أعلام الفكر الغربي الحديث، وبيان استحقاقه أنه شخص مثير للجدل، خاصةً وقد أُطلق عليه أنه توفي بقلم في يده، فضلًا عن إلقاء الضوء على المعرفة عنده، حيث

إن هذه الدراسة يمكن أن تكون نقطة إنطلاق للعديد من الدراسات والرسائل حول هذا الفيلسوف المهم الذي تفتقر إليه المكتبة العربية.

وأما عن أهمية الدراسة: فهي محاولة كشف الستار عن سلسلة محاولات فلاسفة القرن السابع عشر؛ وهو ذلك القرن الذي أطلق عليه "وايتهد" قرن العباقرة، وذلك في إطار ما يتناسب مع ظروف ومستجدات هذا العصر، وكذلك تسليط الضوء على جون سيرجينت ففكره مدفون – إلى حد ما – في مقبرة القرن السابع عشر، وبيان أن هناك أسماء في تاريخ الفلسفة لا يُعرف عنها إلا القليل مثل هذا الفيلسوف. فضلًا عن أنها محاولة لتحقيق التوازن بين الإتجاه التجريبي والعقلاني، حيث إن كلّا منهما له دوره الذي يؤديه دون أدنى تعارض مع الأخر، ليصب ذلك كله في مصلحة الإنسان وسعادته. كما تكمن أهمية هذا البحث في محاولته لتقديم مقاربة فلسفية نقدية لمشكلة المعرفة بين سيرجينت وغيره من الفلاسفة.

وأما عن أهداف الدراسة: فهي تتمثل في إبراز معنى وأهمية المعرفة عند سيرجينت، والوقوف على كيفية معالجته لموضوعاتها، وإلى أي مدى تعد المعرفة ملمحًا بارزًا في فلسفته. بالإضافة إلى تسليط الضوء والكشف عن إسهامات سيرجينت في تطوير المعرفة ومدى إختلاف آراءه حول المعرفة عن الفلاسفة السابقين عليه أو المعاصرين له مما يثري الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر.

أما عن تساؤلات الدراسة: فتطرح هذه الدراسة مجموعة من الأسئلة المهمة والتي سنحاول جاهدين أن نجيب عليها، ومن أهمها: ما المعرفة؟ وما الفكرة عنده؟ وكيف تعمل في نظريته المعرفية؟ وما طبيعة العلاقة بين الأفكار والكلمات عنده؟ وكيف تعمل المفاهيم في معرفة الموضوعات الخارجية عنده؟ وما هي نقاط القوة والضعف في المعرفة عنده وعند غيره من الفلاسفة؟ وإلى أي حد استطاع الربط بين المصطلحات والمفاهيم لتكوين المعرفة؟ وهل هناك نظرية للأفكار قادرة على تفسير

معرفة الأشياء الخارجية؟ وهل يمكن مقارنة الفكرة التمثيلية بالموضوع الخارجي؟ وإلى أي مدى وصل الخلاف بين سيرجينت ومعاصره لوك حول الأفكار؟ وهل لدينا معرفة بالعالم الخارجي؟ وكيف نكتسب هذه المعرفة إذا كانت هذه المعرفة غير مباشرة؟.

أما عن منهج الدراسة: فقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة استخدام مناهج بحثية مختلفة في معالجة هذا الموضوع، من أهمها المنهج الوصفي التحليلي؛ وهو الذي يعتمد على جمع البيانات وتحليل عناصر المعرفة عند سيرجينت للوقوف على مكوناتها وتفكيك عناصر المعرفة وتحليلها بطريقة واضحة ومتميزة، وكذلك المنهج النقدي لتوجيه النقد بموضوعية بعيداً عن التحيز لبعض الرُؤى أو الأفكار، وكذلك المنهج المقارن وذلك لمقارنة آراء سيرجينت مع آراء بعض الفلاسفة المعاصرين له أو السابقين عليه للوقوف على أصالة أفكاره.

وأما عن محاور الدراسة: تشتمل هذه الدراسة على ستة محاور رئيسة تسبقها المقدمة وتليها الخاتمة، وقد جاءت على النحو التالي:

- التطور الفكري والمعرفي في حياة سيرجينت.
- العلاقة بين الأفكار والكلمات عند سيرجينت.
- النظرية التمثيلية في المعرفة عند سيرجينت.
- الخلاف بين سيرجينت ومعاصره لوك حول الأفكار.
- الأحكام وحقيقة المعرفة عند سيرجينت.
- المعرفة العلمية والحجة البرهانية عند سيرجينت.

Abstract:

This research revolves around the Epistemology at John Sergeant (1623-1707 AD), an English philosopher and Catholic priest whose talents appeared early as a controversial person, and whose biographers said that he died with a pen in his hand. He has different orientations and opposing opinions to Descartes and Locke, as he rejected the project of practicing philosophy from a Cartesian perspective, and found that the biggest error in Descartes and Locke's approach to the search for knowledge lies in the way they refer to ideas. He also used the term science loosely to refer to any body of organized knowledge, and therefore certainty was the characteristic of true knowledge for him, and he believed that the basic starting point for all fields of knowledge that wish to achieve the required certainty is the idea or explanation of the topics of this field as they exist. In mind. Then we explained what his notion was? How does it work in his epistemology? And that the notion is his way of seeking to build science or any field of knowledge on a strong foundation, and that the central doctrine of sergeant's epistemology is that the notion is the thing or object itself in proportion to our understanding of it; Then we will be exposed to the intellectual and cognitive development in his life, the relationship between ideas and words, as well as representative ideas and knowledge of external objects, as well as his argument against knowledge through ideas, and the disagreement about ideas between him and his contemporary Locke, judgments and the truth of knowledge, scientific knowledge and his evidential argument. Here we do not mean to commemorate him only, but rather that his criticism of Descartes and Locke will help in assembling and linking the parts of philosophical thought.

مقدمة:

تميز القرن السابع عشر – وهو القرن الذي أطلق عليه "وايتهد" قرن العباقرة– بتزايد الاهتمام نحو البحث العقلي والتجريبي معًا كما حاول أن يؤسس لذلك فلاسفته، وكان لابد أن يثور التعارض في وجهات النظر بين المفكرين في ذلك القرن، فقد كانت هنالك حركة دافعة للتحرر من رق العرف المدرسي المتزمت.

وعلى الرغم من أن سيرجينت كان يعمل في إطار التقاليد المدرسية الأرسطية the Aristotelian Scholastic tradition، إلا أنه كان ينتقد بشدة حالة الفلسفة المدرسية التي لا تزال راسخة بقوة في المناهج الجامعية في ذلك الوقت، والتي كان يعتقد أنها ابتعدت كثيراً عن مذاهب أرسطو الأصلية وأنها تخلّت عن تعاليم أرسطو الحقيقية(١). ومع ذلك يدعي سيرجينت بأن منهجه على درجة عالية من التطور أو الحداثة، في حين أنه –في الواقع– يجد أن منطق أرسطو تم وضعه بقليل من الأشكال الرياضية mathematical dressing، وذلك من وجهة نظره(٢).

ولا ينكر أحد، بالطبع، أن زماننا ومكاننا مختلفان عن زمان ومكان هذا الفيلسوف أو غيره. كما أن فرضيات أو أدلة القرن السابع عشر يصعب استخلاصها من الكتب القديمة وتطبيقها دون تغيير في الوقت الحاضر، وذلك في إطار التقدم الرهيب للعلم والتكنولوجيا. ومما لا شك فيه أن البحث في مشكلة المعرفة تعد من أصعب المشكلات والقضايا التي يواجهها الإنسان؛ حيث إن الغرض هو تحقيق المعرفة التي تؤهل الإنسان لمواجهة الحياة، فهو الكائن الوحيد عن سائر الكائنات الذي لا غنى له عن المعرفة، وهي الموضوع الأساسي الذي استحوز على اهتمامات سيرجينت.

فقد شكلت نظرية المعرفة أساساً لا غنى عنه للفلسفة بصفة عامة، كما أنها تمثل مناط تفكير كل فيلسوف، ولا نعرف فلسفة لا تنطوي على تحديد موقف صاحبها من المعرفة. فقد اهتمت الفلسفة منذ نشأتها إلى الآن بقضية المعرفة؛ حيث

إن المعرفة أداة ووسيلة كما أنها غاية في الوقت نفسه. فبالمعرفة يزداد الإنسان إلتصاقًا بالواقع الذي يعيشه ويعمل على تطويره ومواكبة التطور المعرفي والحضاري.

فكأن نظرية المعرفة أبجدُ العلوم وألفباؤها، فهي حجر الأساس لكل رأي ونظر يتبناه العالِم في كل من مجالي الفلسفة والعلم الطبيعي... وكل هذا يُظهر المكانة المرموقة التي تحتلها نظرية المعرفة بين العلوم البشرية، وأنها أساس كل معرفة ونظرية يتبناها الإنسان(٣). كما أن نظرية المعرفة تمثل المشكلة المركزية لعصرنا الحالي، فالمعرفة في إطلاقها أعلى وظائف الإنسان. ولذا قيل إن المعرفة غذاء للقلب ونور للعقل ومتعة للحواس(٤). بل إن في وسعنا أن نقول إن نظرية المعرفة تحتل اليوم في نظر الكثير من المفكرين مكانة الفلسفة ذاتها، حتى إن البعض يرى أنها هي الفلسفة، إذا كان لنا أن نعد الفلسفة على المفهوم الحديث بحثًا عمليًا منظمًا(٥).

التطور الفكري والمعرفي في حياة سيرجينت:

ولد جون سيرجينت John Sergeant في باروBarrow في لينكولن شاير عام ١٦٢٣م. وكان والده وليم سيرجينت William Sergeant رجلًا بسيطًا للغاية. وقد تلقى سيرجينت تعليمه في قرية بارتون Barton المجاورة له (شمال غرب إنجلترا)، وقد ظهرت مواهبه في وقت مبكر؛ ففي سن السادسة عشر قد التحق بكلية القديس جون st. John's college كفرع من جامعة كامبريدج(٦). حيث حصل على الدرجة العلمية بناءً على توصية من الدكتور وليم بست William Best. ثم عاد لدراسة الفلسفة لمدة خمس سنوات وحصل بعدها على درجة البكالوريوس، ثم حصل على الماجستير بموافقة جميع كبار الأساتذة، وقد طلب منه الدكتور توماس مورتون Thomas Morton – أسقف دورهام Bishop of Durham وراعي الكنيسة– أن يكون سكرتيراً بناءً على توصية الكلية بأن يقوم بهذا الدور بسبب مواهبه المتفوقة(٧).

وفي غضون عام من تقلد هذا المنصب والعمل فيه كان لديه فرصة للبحث في كتابات الآباء الأوائل، ثم غادر سيرجينت الكنيسة الإنجليكانية وتم قبوله في الكنيسة الكاثوليكية بعد ذلك، والتحق بالكلية الإنجليزية في لشبونة Lisbon برفقة صديقه دكتور جودن Godden – الذي أصبح فيما بعد رئيساً للكنيسة الرومانية بكلية لشبونة – واتجه إلى دراسة الطائفة الدينية ورُسم كاهنًا عام ١٦٥٠م، وتم تعيينه مديراً للدراسات العليا بالكلية[٨]. وفي عام ١٦٥٢م أرسل في البعثة الإنجليزية وبعد وصوله بفترة وجيزة، تم إنتخابه كنسيًا ليكون سكرتير الطائفة، وكرس بقية حياته لدعم القضية الكاثوليكية، وهو ما فعله بنجاح كبير لأكثر من أربعين عاماً، كما شارك في مسابقات أدبية مع بعض اللاهوتيين المنتمين إلى الكنيسة في المسائل الفلسفية وغيرها[٩]. وقد أسفرت اجتماعات سيرجينت مع بعض رجال الدين الرومانيين عن تقاربه مع كنيسة روما. ويعد عام ١٦٥٥م الذي ظهرت فيه أطروحته الجدلية الأولى بمثابة بداية مسيرة سيرجينت كشخص مثير للجدل والتي لم تنته؛ فبعد تقاعده من الحياة الأكاديمية إستقر في لندن وقضى معظم وقته في النشاط الأدبي، وبعد عودته إلى إنجلترا بقي سيرجينت هناك حتى وفاته عام ١٧٠٧م؛ وهنا قال عنه كُتاب سيرته توفي بقلم في يده عن عمر يناهز أربعةً وثمانين عاماً[١٠].

وبذلك يعد سيرجينت فيلسوفًا وكاهنًا كاثوليكيًّا رومانيًّا له أهمية خاصه لدى مفكري القرن السابع عشر في إنجلترا. وعلى الرغم من أنه أُشتهر في وقته بأنه مثيرٌ للجدل الكاثوليكي وأنه أصبح متمكنًا وماهراً في الاستراتيجيات المستخدمة، إلا أن مواهبه وإنجازاته لم تقتصر على هذا المجال. فقد كان أيضًا مفكراً وفيلسوفًا في عصر معادٍ لأرسطو، فقد أيد المنطق الأرسطي والميتافيزيقا بحجة قوية وأصالة ملحوظة في عصر غني بالكتابة الفلسفية وغيرها. ففي منتصف القرن السابع عشر ظهرت أطروحاته الكثيرة ضد الفلسفة الديكارتية، ونقده لكتاب لوك "مقال في الفهم البشري"[١١].

ففي البداية نود أن نشير إلى أن هناك تضارباً في تاريخ ميلاد الفليسوف، حيث إننا هنا ونحن بصدد هذا الفيلسوف نلاحظ أن هناك فارقًا عامًّا من العمر بين من يقول إنه ولد عام ١٦٢٣م ومَن يقول إنه ولد عام ١٦٢٢م، وذلك من خلال الإطلاع على المصادر والمراجع المختلفة. كما نجد أيضًا خلافًا حول تاريخ الوفاة؛ فهناك من يرى أنه توفي عام ١٧١٠م، وإن كان هذا لا يشغل بالنا من قريب أو من بعيد، ولكنه للعلم بالشيء.

فقد نشر سيرجينت أول عمل فلسفي جاد وهو "المنهج إلى العلم" عام ١٦٩٦م عندما كان في سن الثالثة والسبعين من عمره. وربما كان هذا التطور المتأخر بسبب اهتمامه المفرط بالنزاع اللاهوتي البحت والدفاع عن القضية الكاثوليكية الرومانية، وكان هدفه إيجاد منهج للفلسفة يعادل مناهج الرياضيات. ولم يُحدث الكتاب الكثير من الضجة، فكانت موجهة في معظمها ضد الديكارتيين في ذلك الوقت. وفي عام ١٦٩٧م نشر كتاب "الفلسفة الراسخة"، وهو تعليق على كتاب جون لوك "مقال في الفهم البشري[١٢]؛ وكذلك "الخطابات العقلانية حول سيادة الإيمان" ١٦٦٥م، و"الفلسفة العابرة للطبيعة أو الميتافيزيقا"... وعلى الرغم من كل هذا إلا أنه مرّ بفترة شاقة ثم نجا من الاعتقال، وانتحل شخصية طبيب وظهر بأسماء عديدة منها داود وهولاند وسميث under the names of Dodd, Holland, and Smith[١٣]. ولكن الغريب هنا، وهو ما يثير انتباهنا أن أعماله الفلسفية الضخمة ظهرت في وقت متأخر من العمر.

وعلى الرغم من أن هناك العديد من الفلاسفة الذين لديهم اسهامات مهمة في الفكر الفلسفي، إلا أَن هناك أسماء قليلة في تاريخ الفلسفة لا يُعرف عنها إلا القليل مثل اسم جون سيرجينت، ففكره مدفون إلى حد كبير في مقبرة القرن السابع عشر. وإننا هنا لا نقصد إحياء ذكراه فقط ولكن بالأحرى – مع الأمل – في أن نقده لديكارت ولوك سوف يساعد في تجميع أجزاء الفكر الفلسفي[١٤].

فمن المُلاحظ أنه يفصل بين وفاة ديكارت عام ١٦٥٠م ونشر الفلسفة الراسخة عام ١٦٩٧م لجون سيرجينت أقل بقليل من نصف قرن. وهناك من يصفه بأنه ناقد لوك وسابق باركلي، وأنه فيما يتعلق بتأثيره المباشر على باركلي فسوف نلاحظ أن باركلي قد تأثر بإدخال مصطلح الفكرة the term notion بمعنى متخصص من قِبل سيرجينت.

يعد سيرجينت من أشد المنتقدين لكلٍّ من ديكارت ولوك، ولكنه يتفق معهم في افتراض أن الإنسان بالنسبة له مكون من جسد وروح. ففي نظام الطبيعة هو بين الوحش والملاك كفرد من هذا النوع أو ذاك. وهو هنا قدم نوعين: الأولى الأوهام أو الأفكار الخيالية، والثانية: المعاني أو المفاهيم الروحية، فتمتلك الوحوش فقط وهماً ماديًا لأن لديها أجساداً فقط، في حين أن الملائكة لها معاني فقط لأن لديها أرواح فقط. فالأفكار هي ما يحدث في مفاهيم الإنسان؛ وما يحدث في مفهومه هو إدراك أن ما يظهر عندما نغلق أعيننا أو نسير في الظلام هو مجرد فكرة أو صورة؛ وبذلك فإن طبيعة الإنسان تؤدي إلى عمليتين؛ حيث تقتصر القوة الجسدية على الأفكار المادية والصور والأوهام، بينما القوة الروحية على المعاني أو المفاهيم الروحية(١٥). وقد اختصر سيرجينت جميع أنماط الاستدلال الافتراضية واختتم بما هو نتيجة حتمية لهذا الفكر، أي معرفة حقيقة واحدة في الطبيعة تعني معرفة الطبيعة كلها، ومن ثم فإنه حاد بما يكفي ليرى ما لم يدركه العديد من النقاد المعاصرين.

وقد يتبادر إلى الذهن عند القراءة لمرة واحدة في كتاب "المنهج إلى العلم" أنك تفكر إلى أي مدى كان سيرجينت مديناً للوك في بعض الاقتراحات، وكذلك أيضاً في مقدمة "الفلسفة الراسخة" التي نُشرت بعد عام واحد من المنهج وبعد ثماني سنوات تقريباً من مقال لوك، والتي كانت تحتوي على العديد من الأشياء التي تتوافق تماماً مع ما نشره لوك قبل ذلك بوقت طويل. ومن خلال التدقيق في منهج تفكيره، نجد أنه كان متشككًا في أصل الأشياء التي كانت توضح الحقائق(١٦).

فإذا ما نظرنا إلى كتابه "المنهج إلى العلم" نجد أنه أراد تصحيح ما اعتبره مناهج مسيئة في العلم والتي كانت سائدة في الجامعات آنذاك. وكانت المناهج التي تعرضت للهجوم منسوبة إلى ديكارت، وبشكل عام أي منهج غير القياس. ومن ثم يستخدم سيرجينت مصطلح العلم science بشكل فضفاض للإشارة إلى أية مجموعة من المعرفة المنظمة التي يمكن أن تبدأ من المبادئ عن طريق ما يسمى بالاستنتاجات(١٧). ولم يكن سيرجينت فقط فهناك من يرى أن لوك نادراً ما كان يستخدم كلمة الفلسفة، فعلى العكس كان دائماً يستخدم كلمة "العلم". وعادة ما يُعد لوك بأنه من بدأ عصر التنوير لأنه قام بتقديم معرفة علمية واضحة(١٨). ومن ثم كان التأكيد أو اليقين عند سيرجينت هو سمة المعرفة الحقيقية، وكان الهدف الرئيس للعلم بهذا المعنى الواسع هو جلب الفضيلة وليس فقط رفعنا إلى مستوى أعلى من التأمل، ولكن أيضاً لتقوية الإيمان الإلهي فينا وجعله أكثر قوة وفاعلية(١٩).

كما أنه في كتابه "الفلسفة الراسخة" قام بنقد موسع لكتاب لوك "مقال في الفهم البشري"، حيث إنه كتبه في وقت متأخر من العمر، وهي إعادة صياغة واسعة النطاق لمذاهبه الرئيسة في المنطق ونظرية المعرفة والميتافيزيقا. وذلك نظراً لأن إهتمام سيرجينت بالنقد يتجلى في عرضه التفصيلي لما يراه عيوباً قاتلة في نظام لوك(٢٠). وعلى الرغم من أن لوك استغرق وقتاً في قراءة الفلسفة الراسخة لسيرجينت بعناية وكتابة التعليقات والردود في هوامش نسخته، إلا أنه لسببٍ ما أهمل جميع النقاد وكُتاب السيرة الذاتية للوك وجود هذه الملاحظات الهامشية(٢١).

ومن ثم يجب أن تكون نقطة البداية الأساسية لجميع مجالات المعرفة التي ترغب في تحقيق اليقين المطلوب هي "الفكرة والتصور the notion, the conceptionأو شرح موضوعات هذا المجال كما هي موجودة في العقل. ولكن ما هي الفكرة؟ وكيف تعمل في نظريته المعرفية his Epistemology؟ فالفكرة هي طريقة سيرجينت في السعي إلى بناء العلم أو أي مجال من مجالات المعرفة على

أساس صلب، بحيث تكون النتيجة النهائية ليست يقيناً فحسب بل حقيقة أيضاً. حيث إن نظرية سيرجينت عن الحقيقة هي شكل من أشكال نظرية المطابقة. ففي الأساس إن الحقيقة هي توافق حكمنا مع طبيعة الشيء، بينما تتكون الحقيقة فعلياً من ارتباط مصطلحات القياس المنطقي. ومن ثم يجب أن تتوافق ارتباط المصطلحات مع ارتباط الأشياء، ولكن إذا كان أساس معرفتنا ليس له حقيقة أو ليس له أية إشارة أو تطابق مع الأشياء كما هي، فإن بنية المعرفة لا يمكن أن تتوافق مع إختبار المطابقة من أجل الحقيقة؛ أي أنها طريقة لا تبدأ بالأشياء نفسها ولكن بالأفكار بدلاً منها وتنطوي على مخاطر تؤدي إلى معرفة متماسكة ولكنها غير واقعية ما لم تكن الأفكار متطابقة مع الأشياء بطريقة ما(٢٢).

العلاقة بين الأفكار والكلمات عند سيرجينت:

إن القاعدة الرئيسة للمعرفة عند سيرجينت the central doctrine of sergeant's epistemology؛ هي أن الفكرة هي الشيء أو الموضوع نفسه بما يتناسب مع فهمنا له، ولتأسيس هذه العقيدة قدم ما يسمى بالحجج الخمسة عشر؛ وهذه الحجج يمكن اختصارها على النحو التالي أولاً: إن عمل الفهم جوهري أو أساسي وليس عملية عابرة للعقل أي أنه لا ينتقل إلى الموضوع، حيث إنه في إدراك الموضوع يكون الموضوع داخل الفهم كفكرة. ثانياً: إن أولئك الذين يقولون أن ما يعرفونه هو فكرة لا يمكنهم أبداً معرفة الموضوع ما لم تكن الأفكار هي الأشياء أو الموضوعات نفسها، وفي هذه الحالة يكونوا مفاهيم. ثالثًا: لا يمكن أن يقال إننا نعرف الأشياء عن طريق معاني الأفكار، لأنه في أغلب الأحوال تكون الفكرة مجرد صورة أو تشابه picture or resemblance، ولا يمكننا أبداً معرفة أن التشابه يكون صحيحاً دون أن يكون الشيء مشابهًا لما في فهمنا للمقارنة بين الاثنين. رابعًا: إن الكلمات هي مجرد تعبيرات Expression اتفق عليها الأشخاص للدلالة على أشياء معينة، ويجب أن تكون الأشياء المشار إليها معروفة قبل الاتفاق على الكلمات(٢٣).

وعلى الجانب الأخر إذا ما نظرنا إلى لوك فنجد أنه يرى أن امتلاكنا للفكرة بأية حاسة يعني امتلاكنا لإدراك معين بشيء معين يوجد في مكان ما بالوعي، حيث إن امتلاك فكرة عن أي شيء في عقولنا ليس أكثر من إثبات وجود ذلك الشيء؛ فالفكرة عنده تعني الوعي بشيء ما ليس أكثر(٢٤)". حيث إنه يصرح بأن الوعي لا يمكن أن ينفصل عن التفكير وجوهري بالنسبة له؟ وأنه من المستحيل بالنسبة لأي شخص أن يدرك دون أن يدرك أنه يدرك(٢٥). فالإدراك عنده فإنه يحتل مكان الصدارة في عمليات العقل أو الملكات العقلية ويقوم بالدور الرئيس فيها، حيث إنه يرى أن الإدراك هو عملية ذهنية نكتسب عن طريقها أفكاراً بسيطة... فقد اعتقد أن الإدراك هو الخطوة الأولى وأول درجة تجاه المعرفة(٢٦). وذلك بسبب أن الأفكار هي لا شيء بدون الوعي، سواء أكانت أفكاراً بسيطة أم مركبة، داخلية أم خارجية(٢٧). ويقول في هذا الشأن: "لما كانت كلمة فكرة هي أفضل كلمة للدلالة على أي شيء يكون موضوعاً للفهم عندما يفكر الإنسان وهو يعي أنه يفكر، لذا استخدمها للدلالة على كل ما يستعمله العقل عند قيامه بعملية التفكير(٢٨). ومن ثم فإنه من المستحيل أن نفكر أو نستوعب فكرة دون أن يكون هناك موضوعات مباشرة تحفز على الفكر والإدراك، ذلك الموضوع هو ما نسميه الفكرة(٢٩).

ومن ثم فإن سيرجينت في تأكيده على فعل الفهم أو الإدراك بشكل أساسي وليس بشكل عابر، يعني ببساطة أن الفعل هو عملية داخلية، وهو بذلك يرى أن موضوع ذلك الفعل أو الفكرة هو الشيء نفسه، ولكن الأفكار أو الصور the Ideas or Resemblances التي لدينا لا يمكن أن تكون معروفة مسبقاً بهذه الاتفاقية من حيث كونهم موجودين في العقل؛ ولكن عن طريق الكلمات(٣٠). حيث إن الكلمات في دلالتها الأساسية ليست شيئاً سوى الأفكار في ذهن الشخص الذي يستخدمها(٣١). ومن خلال التحقق من كلماتنا عند التصريح ببيان ما –على سبيل المثال– "الزجاج موجود في النافذة"، فتعني كلمة الزجاج جوهر مادة الزجاج الموجودة بدوننا، لأنه سيكون

من الخطأ القول فكرة عن الزجاج في النافذة. وبالتالي يستنتج سيرجينت أن الزجاج نفسه الموجود في الشباك يجب أن يكون أيضاً موجود في عقلي، ولذا فهو الشيء نفسه أو الفكرة(٣٢).

ويرى الباحث هنا أنه يريد أن يدرك المقصد الحقيقي خاصة في المسائل الواضحة التي لا تخفى عن الإنسان الواعي. حيث أنه من يرسم صورة ما ليس مطالباً بإعلان أنه رسم تلك الصورة لإثبات ما فعل، لأن الصورة ستتحدث عن نفسها، وأنه يجب أن تتطابق الصورة مع ما هو موجود داخل العقل.

ولذلك فإننا نعتقد أن البيان التالي يغطي وجهة نظر سيرجينت الأساسية عن الفكرة، فإذا كان ما نعرفه دائماً فكرة وليس كائناً كشيء، حيث إننا لا نعرف أبداً العالم الخارجي إلا كما هو مُمثّل في أفكارنا، فإذا كنا لم نعرف الشيء أو الموضوع أبداً، فكيف يخبرنا عما إذا كانت الفكرة نسخة من الموضوع أم لا؟ وأن ما ندركه في فعل المعرفة هو الشيء نفسه مقدماً كمعنى وهو ما يسمى بالفكرة(٣٣).

فبالنسبة إلى سيرجينت هناك قاعدتان عامتان لمعرفة المعنى الصحيح للكلمات؛ أولاً: إن معنى الكلمات التي تعبر عن مفاهيمنا الطبيعية تؤخذ من الإنسان عامة. وثانياً: إن معنى الكلمات المصطنعة تؤخذ من فنون الاحترام الخاص بنا أي فن التعامل بين الأشخاص... ومن ثم فإن هذا يتماشى مع الأفكار التي يستخدمها – وهو بذلك لا يتوافق مع لوك – فقد اثبت سيرجينت أن العلاقة بين الأفكار والكلمات تأثرت بالجنس والأنواع وطريقة عرض الأفكار، حيث إنه استخدم الكلمة (الفكرة) {Word{Idea للتعبير عن الأفكار الواقعية أو الأفكار الفانتازية أو المفاهيم أو الأنواع أو أي شيء يستخدمه العقل في التفكير للوصول إلى التعريف الصحيح. وبالنسبة له لا يؤكد العقل المفاهيم أو الأفكار العامة بشكل محدد، ولكنه مجبر على القيام بذلك بطبيعته(٣٤).

حيث إن سيرجينت يرى أن القواعد الأساسية التي يُبنـــى عليهـــا العلـــم أو المعرفة هي إننا نختبر أن الانطباعات تتم من خلال حواسنا، وأن تلك الانطباعـــات تختلف بإختلاف طبيعة الأشياء التي تطبعها أو تتركها لنـــا، والانطباعـــات تســـمى بالأفكار أو المفاهيم. ومن ثم فإن هذه المفاهيم هي طبيعة الشـــيء ذاتـــه أو الشـــيء الموجود بذاته فينا فكريًا أو عقليًا intellectually، فهي ليست فكرة مجردة أو مـــا شابهها ولكنها تظهر بوضوح. فمثلا عندما نحكم على الحجر بأنه صـــلب a Stone is hard؛ فإننا لا نحتاج إلى التأكيد على ذلك أو محاولة إثبـــات صـــحة ذلـــك، لأن الحجر هو نفسه، ولو لم يكن كذلك لكان الرأي باطلًا؛ لأن تشابه طبيعة الحجر فـــي أذهاننا ليس صعبًا، ولكننا نؤكد فقط على أن ذلك الرأي أو العرض صحيح؛ حيث إنه يوجد في داخلنا فكرة مسبقة عن صلابة الحجر لا تختلف كثيراً عن الفكرة التي تُقدم لنا والتي تقول إن الحجر صلب، ولكن عند تلقي الفكرة تكون تاكيداً لما نمتلكه مـــن فكر سابق عن الشيء(٣٥).

فمن الملاحظ أن كلمة "الفكرة، الإدراك البسيط، المفهوم، التصور، والمعنى" كلها مصطلحات مترادفة تسمى أفكار أو مفاهيم لأنها تعد أجزاء أو عناصر للمعرفة Parts or Elements of Knowledge والتي إذا اجتمعت وأخذت فـــي الاعتبـــار تكون المعرفة الصحيحة والكاملة والتي يُطلق عليها مصطلح الفهم أو الإدراك البسيط Simple Apprehension، لتميزه أو اختلافه عن الحكم(٣٦). وفيما يتعلق بالكلمات التي تدل عليها فتسمى بالتصورات Conceptions وهناك من يطلقون عليها بـــاطن المعرفة أو المعرفة في مهدها the Embryo's of Knowledge. وأخيراً يُقال إنها طبائع الأشياء the Natures of the Things لأنها أساسية الوجـــود ولا يختلـــف عليها اثنان، ولكنهم فقط يشيرون إلى طريقة جديدة لوجودها؛ أي الشكل الخـــارجي للشئ وطبيعته أو ماهيته the Nature or Essence(٣٧).

فالأفكار من حيث كونها طبيعة الأشياء التي في فهمنا؛ فهى ليست صادقة ولا كاذبة في شكلها؛ نظرًا لأنها لا تؤكد أو تنكر أكثر مما يفعل الشيء نفسه كما هو في الطبيعة أو خارج الفهم، وبذلك تسمى الأفكار أو المفاهيم بالمفاهيم أو الإدراكات البسيطة لأننا من خلالها ندرك أو نفهم طبيعة الشيء، فلا يهم عدد الكلمات أو مدى تناسقها. فنحن لا نفعل أكثر من مجرد فهم أو أخذ معنى الكلمات أو الأفكار في أذهاننا دون الحكم عليها أو الحديث عنها؛ ولكن لمجرد فهم معنى أو قصد المتحدث أو الكاتب(٣٨).

ومن ثم فإن الطريقة الوحيدة لاكتساب معرفة قوية بطبيعة الأشياء solid Knowledge of the Nature of Things هي تلك الأفكار المبنية على عدم وضع تكهنات والتعلق بها، خالية من التخيلات Imaginations التي تعمل على تحريف الشيء؛ وذلك للحصول على المعنى الحقيقي والأصلي لتلك الكلمات التي يستخدمها عامة البشر(٣٩).

وهنا يمكن اختزال بعض الإعتقادات المعرفية التي نجربها حول أفكارنا إلى أربعة أنواع من الاتصال. أولاً: هناك المعرفة بالهوية والتنوع identity and diversity وهذا هو شكل من أشكال تصور الاتفاق أو الاختلاف في أفكارنا. فعلى سبيل المثال، نحن نعرف أن أفكارنا عن الغلاف الجوي والكرة الأرضية هي الأفكار نفسها. ثانيًا: إن معرفة العلاقة هي إدراك الاتفاق أو عدم الاتفاق بين أفكارنا فيما يتعلق ببعض الخصائص، فمثلًا في علم الرياضيات نجد أن أبعاد الدائرة مساوية لطولها. ثالثًا: إن معرفة التعايش أو التواجد the knowledge of co-existence هي إدراك الاتفاق أو الإختلاف في الصفات فيما يتعلق بوجودها أو عدم وجودها معًا. رابعًا: إن معرفة الوجود الحقيقي هي إدراك الاتفاق أو الاختلاف بين أفكارنا مع فكرة الوجود... وبذلك يقتصر مصطلح المعرفة عند لوك على اليقين المطلق.

فهو يعرف المعرفة على أنها إدراك علاقة الاتفاق أو الاختلاف لأي من أفكارنا. وهذا التصور إما عن طريق الحدس أو البرهان أو الإحساس(٤٠).

إن ما يشير إليه سيرجينت هو أن العقل عند لوك في كل أفكاره واستدلالاته ليس له موضوع مباشر أخر سوى أفكاره الخاصة التي يفعلها أو يمكنه التفكير فيها وحده. وبشكل واضح تكون معرفتنا به هي أن نكون على دراية به فقط... نظراً لأن البشر لا يُعتقد أنهم يتحدثون عن مخيلتهم الخاصة، ولكن عن الأشياء كما هي في الحقيقة، ولذلك غالباً ما يفترضون أن كلماتهم تمثل أيضاً حقيقة(٤١).

وبالنسبة إلى سيرجينت يمكن اختزال الأربعة أنواع من الاتصال حسب نوع التواجد بالطرق الثلاثة التالية، أولاً: إن الهوية والتنوع يعنيان أن كل فكرة تنبع من ذاتها، وهذا يرتكز على النوع الأول وهو أن كل شيء هو ما هو عليه؛ وهذا يعني أنه فيما يتعلق بالهوية والتنوع هناك تأكيد للتواجد المطلق أو عدم التواجد الذي يعبر عنه بافتراض الهوية. ثانياً: إن العلاقات ترتكز على الأشياء المتعلقه بها، على سبيل المثال العلاقة بين المعلم والتلميذ ترتكز على الأفعال والمشاعر. ثالثاً: إن الوجود الحقيقي الذي من خلاله نكون في حالة أفضل والذي من خلاله نستطيع أن نتعايش بشكل أفضل(٤٢).

وبذلك فإن الأفكار أو المفاهيم هي معاني الكلمات – من وجهة نظر سيرجينت– وهنا نتساءل ما هي المزايا أو العيوب التي قد تعود على العلم من خلال التعبير عن مفاهيمنا بالكلمات سواء بشكل واضح أم غامض؛ خاصة إذا كانت الكلمة لها معنى واحد أو كانت تنطبق على مفاهيم أخرى، ومن هنا يمكننا القول إن الكلمة تكون أحادية المصدر عندما يكون لها معنى واحد، وتكون غامضة أو مبهمة عندما تحمل الكثير من المعاني(٤٣).

إن الأفكار هي طبائع الأشياء في فهمنا وادراكنا، وبالتالي لا يمكن أن تكون مزيفة؛ حيث إنها تمتلك حقيقتها الميتافيزيقية Metaphysical Verity أي أنها هي ما هي عليه ولا يمكن أن تكون غير ذلك؛ حيث إن الميتافيزيقا قد نالت الكثير من الأوسمة العالية والألقاب المشرفة من قِبل أولئك الذين يعلمونها ويستفيدون منها ويطلقون عليها "ملكة العلوم" The Queen of Sciences. بل والأكثر من ذلك أنهم يعتقدون أنها أن جميع العلوم والمعارف الأخرى تعتمد في يقينها وأدلتها على المبادئ الميتافيزيقية السامية. وبذلك إذا كانت جميع الكلمات يتم التعبير عنها بمفهوم واحد ولديها فكرة واحدة أو معنى واحد؛ فلا يمكن أن يكون هناك احتمال للخطأ بين الكلمات أكثر مما يمكن أن يكون بين الأفكار نفسها والتي تدل عليها تلك الكلمات. وعلى العكس من ذلك إذا كانت الكلمات غامضة أو يمكن أن تؤخذ بمعنى مزدوج أو أن تؤخذ هى نفسها للدلالة على أفكار متنوعة، وهذا ما يحدث بين بعض الأشخاص الذين يستخدمونها، فأحدهم يفهم الكلمة بمعنى والأخر يفهم الكلمة نفسها بمعنى أخر، فيبدو وكأنهم يتحدثون عن كلمة مختلفة، وبالتالي يقعون في مشاعر مختلفة ويتناقضون مع بعضهم البعض، وهنا تحدث الخلافات التي لا حصر لها من المعنى الغامض لتلك الكلمات(٤٤).

وبذلك فإننا هنا إذا افترضنا أن الأشخاص صادقون، وأنه لا يوجد خطأ في فهمهم وإدراكهم للكلمة نفسها؛ فإن معظم الخلافات والمشاحنات في العالم تنشأ من المعنى الغامض للكلمات؛ لأن استخدام الكلمات أمر شائع بين جميع البشر(٤٥). فالكلمات في الغالب يعتقد أنها وسيلة لنقل محتوى المعرفة بالأشياء أو أنها تتعلق بواقعية الأشياء(٤٦). فمثلًا إذا أصدرنا حكمًا على المثلث أو الدائرة، فإن وجود أو عدم وجود مثلث أو دائرة في العالم لا يكون له علاقة تمامًا بصدق حكمه... لأن صدق حكمه ينتج ببساطة من تعريفاته وبديهياته(٤٧).

حيث إن الكلمات المكتوبة Written Words أكثر عرضة لهذه التناقضات من الكلمات المنطوقة Spoken words، خاصة إذا كان مؤلفو تلك الكلمات المكتوبة ليسوا على قيد الحياة، ولم يتم الاتفاق على طريقة معينة لتفسيرها من قِبل جميع الأطراف؛ لأنه إذا حدث تلاعب بالألفاظ في الكلمات المنطوقة، فقد يأتي المتحدث بسهولة – إذا كان على قيد الحياة – ليثبت أنه قد أُسيء فهمه، ويبدأ في توضيح المعنى المزدوج أو المختلط للكلمة ويقوم بشرح ما يقصده، وهذا الأمر مستحيل في الكلمات المكتوبة، وإذا لم يحدث ذلك فستظل جميع المناقشات التي تعتمد على هذا المبدأ غير محددة، وستنتهي إلى مناوشات كلامية ومجادلات بلا نهاية(٤٨).

وبما أن الفكرة أو المفهوم الحقيقي the true Notion للشيء يرتكز على كل معرفتنا به وكل أحاديثنا عنه، فإنه سيترتب على ذلك أن من يتقدم لتوضيح فكرة وهو يعتمد على فكرة معينة، ثم بعد ذلك يعتمد في تفسيرها على فكرة أخرى، فيجب أن يتعثّر في خطابه ويتحدث بشكل غير مترابط، وذلك لعدم وجود فكرة ثابتة تمنحه الضوء لتوجيه خطواته إلى النهاية نفسها التي يريدها أو إتخاذ الطريق الصحيح لتحقيق ذلك(٤٩).

إن الكلمات التي يعبر عنها بكلمات أخرى نظراً إلى التشابه فيما بينها هي استعارات مكنية أو مجازية، وأفضل الاستعارات هي عندما يكون الشيء المنبثق منها بارزاً تحت تلك الفكرة التي نعتزم التعبير عنها، كما هو الحال عندما نطلق على الرجل الشجاع اسم الأسد Lyon، والرجل الوديع بالحمل Lamb؛ لأن الشجاعة والاعتدال صفتين بارزتين في تلك الحيوانات؛ وبالتالي فإن الكلام بأكمله هو استعاري أو مجازي Allegorical... وبذلك ليس هناك ضرر على العلم أو المعرفة العلمية من أن مثل هذه الكلمات تستخدم في الكلام العام أو الخطابات البلاغية الفضفاضة(٥٠).

وبذلك يفسر سيرجينت معرفة الأشياء الخارجية بما يسميه بالمفاهيم أو الأفكار notions. فالفكرة A notion هي الموضوع نفسه بقدر ما هو موجود في العقل، وهو بذلك يعارض كل الفلاسفة أصحاب النزعة الفكرية "ideists"، وهم الذين يسعون إلى شرح أو تفسير معرفتنا بالأشياء الخارجية عن طريق الأفكار. أما بالنسبة إلى سيرجينت فإنه يضيف أن الفكرة ليست الشيء نفسه بقدر ما هو موجود في العقل فقط، ولكنها مجرد تشابه أو تقارب مع الموضوع الخارجي(٥١).

إن سيرجينت ولوك يطلقان على الفكرة في كثير من الأحيان أنها مجرد صورة أو تشابه؛ وذلك مثل من يكون لديه المعرفة الأولى بشيء من خلال صورة أو تشابه منه؟ وهنا مثلًا دع أي إنسان يرى صورة شجرة أو تفاحة مع أنه لم يسبق له أن رأى تلك الأشياء بنفسه، ولا يمكن له أن يراها بأي طريقة أخرى، فما هي المعرفة التي يمكن أن تمنحها الصور؟ هي فقط أشياء ذات طبيعة مختلفة تمامًا عن الشجرة أو التفاحة؛ بمعنى أنها كما لو كانت قطعة قماش أو لوحة أو ورقة وهكذا يتم تشكيلها وتلوينها كما ظهرت لنا. ففي الواقع لو كنت أعرف مثل هذه الأشياء من قبل، فإن تشابهها في هذه الحالة قد استدعى أو أحيا إلى ذهني معرفتها، ولكن كيفية توليد المعرفة الأولى بها هو أمر مستحيل ولا يمكن تفسيره قطعًا(٥٢).

وعلى الجانب الآخر نلاحظ أن ثقة لوك في أن الفكرة لديها القدرة على التعبير عن الواقع الخارجي كانت مسارٌ للتساؤل، عندما قدم الفكرة بنموذجين مزدوجين: من ناحية الفكرة كتمثيل للشيء أو الموضوع الذي يساعد على تحفيزها مثلما في حالة الفكرة البسيطة. ومن ناحية أخرى الفكرة كعنصر للمعرفة. حيث يبدو أن العقل غير قادر على معرفة الشيء نفسه. فالعقل يستطيع فقط معرفة الفكرة التي يتسبب بحدوثها شيء، والتي من الممكن أن تكون ليست تمثيلًا للشيء نفسه، فالعقل لا يدرك الأشياء أو الموضوعات بشكل مباشر، ولكن من خلال تداخل الأفكار التي لديه(٥٣).

وبالتالي يفترض سيرجينت حقيقة معرفتنا بالأشياء الخارجية ويسعى فقط إلى شرحها، فيؤكد أن الفعل المعرفي للذات هو أمر أساسي في العقل، وبالتالي يجب أن ينتهي داخل العقل، ولكن بما أن الأشياء الخارجية معروفة للعقل؛ فقد خلص إلى أن الغاية الأساسية للفعل المعرفي يجب أن تكون الموضوع نفسه بقدر ما هو في العقل، ولذلك عندما أفهم الشيء ببساطة أو أي شكل أو عَرَضٍ له، فإن عملية فهمي هذه تكون في ذهني وتكتمل فيه. ولذلك يجب أن يكون الشيء الذي تم الحصول عليه (المُدرك) – وهو موضوع تلك العملية – أن يكون موجوداً بالمثل وإلا فإن عملية تفكيرى هذه كونها أساسية أو أنها تمرير ذهني إلى الشيء دون تدخلي لا يمكن استخدامها في ذلك الشيء على خلاف الافتراض أو الظن supposition. فأنا أعرف الشيء ذاته، ولذلك فإن الشيء ذاته هو في إدراكي المعرفي، ولكن إدراكي المعرفي هو في فهمي، وبالتالي فإن الشيء الذي أعرفه هو أيضاً في فهمي. وعلى الرغم من أن الفعل المعرفي وغايته the cognitive act and its termination ملازم للعقل أو التفكير، فإن الموضوع الخارجي معروف، لأن الغاية الأساسية أو الفكرة هي الموضوع نفسه بقدر ما هو موجود في العقل(٥٤).

النظرية التمثيلية في المعرفة عند سيرجينت:

من المثير للاهتمام أن نجد سيرجينت يربط بين ديكارت ولوك معاً؛ نظراً لأن العلاقة التاريخية بين العقلانية الديكارتية وتجريبية لوك وثيقة الصلة إلى حد ما. إنها النظرية التمثيلية للمعرفة the representative theory of knowledge التي يراها سيرجينت على أنها الرابط بين هاتين المدرستين الفكريتين، ولا سيما في طريقة العمل عن طريق أفكار واضحة ومتميزة(٥٥). ففي أثناء الحديث عن ديكارت ومالبرانش في "المنهج إلى العلم"، وجد سيرجينت أن أكبر خطأ في مناهجهم في البحث عن المعرفة يكمن في الطريقة التي يرجعون بها إلى الأفكار بدلاً من البدء بالأشياء نفسها. حيث إن التمييز أو الفصل – الذي اعترض عليه البعض– بين

الأفكار والأشياء؛ أشار إليه سيرجينت على أنه أصل الشكوك في كل من العقلانية الديكارتية والتجريبية اللوكية. فقد كان لدى سيرجينت تفسيره الخاص لمصطلح "فكرة" في أنظمة ديكارت ولوك، ولكنه كان مولعاً بالإشارة إلى أن الأشخاص الذين استخدموا هذا المصطلح وسعوا إلى بناء كل المعرفة عليه فشلوا في تقديم وصف محدد له.

ومن ثم لماذا يعتقد سيرجينت أنه لا توجد نظرية للأفكار theory of ideas قادرة على تفسير معرفة الأشياء الخارجية؟ لأن كل نظرية من هذا القبيل تفترض أنه لا يوجد تطابق بين العملية الجوهرية للفكرة والشيء الخارجي، ولكن هناك فقط– في الغالب– علاقة تمثيل وتشابه، ولكن إذا كانت الفكرة مجرد تشابه للموضوع الخارجي وليست الموضوع نفسه بقدر ما هو موجود في العقل؛ فإن الذات لا تدرك الشيء نفسه بل فقط تشبهه. وفي هذه الحالة فإن كل نظرية للأفكار التمثيلية every theory of representative ideas تحكم على الذات بعدم القدرة على معرفة الأشياء الخارجية، ولكن فقط أوجه التشابه العقلي بينها(٥٦).

وبذلك ذهب سيرجينت إلى القول بإنه لا يمكننا أن نعرف على الإطلاق الأشياء نفسها من خلال الأفكار، ما لم نعرف بالتأكيد أن هذه الأفكار تشبهها بشكل صحيح، ولكن لا يمكننا أبداً أن نعرف – وفقًا لمبادئ أصحاب النزعة الفكرية – أن بين هذه الأفكار تشابه صحيح مع الأشياء (حتى إنه في الواقع لا يوجد شيء يشبه الآخر بشكل مطلق) ما لم يكن كلاهما في متناول فهمنا وتحت نظرنا ومقارنتنا معًا، حتى نتمكن من رؤية ما إذا كان أحدهما يشبه الآخر بشكل صحيح أم لا، ولكن هذا يستلزم أن يكون الشيء نفسه وكذلك الفكرة في الفهم، وهو ما يتعارض بشكل مباشر مع مبادئهم؛ ولذلك وفقًا لمبادئ أصحاب النزعة الفكرية لا يمكننا أن نعرف أن أفكارهم تتشابه بشكل صحيح مع الشيء(٥٧).

ووفقًا لسيرجينت فإن استحالة مقارنة ما يسمى بالفكرة التمثيلية representative idea مع الموضوع الخارجي الذي من المفترض أن تمثله قد تم لفت الانتباه إليها بالفعل. وبالتالي فإن استحالة مثل هذه المقارنة ينطوي عليها أن المبادئ ذاتها موجوده لدى أصحاب النزعة الفكرية، فبينما يريدون تفسير معرفة الذات بالأشياء الخارجية من خلال أفكارها، فإنهم يؤكدون بالضرورة أيضًا أن الذات لا يمكنها معرفة الأشياء إلا من خلال أفكارها. ولكن سيرجينت يشير على نحو مناسب، لكي تكون مثل هذه المقارنة ممكنة يجب أن يكون الشيء المشابه معروفًا، ليس فقط إلى جانب الفكرة، ولكن بوسائل أخرى غير تلك الفكرة(٥٨).

فالفكرة مثل الصورة The idea, like the picture لا يمكنها إلا أن تستدعي أو تتذكر المعرفة التي تؤثر على الموضوع الخارجي ولا يمكنها إنتاجها. ومن ثم فإن استدعاء تلك المعرفة من خلال الفكرة يفترض مسبقًا أن تلك المعرفة موجودة بالفعل وأنها تم اكتسابها مسبقًا وبشكل مستقل عن تلك المعرفة. وبالتالي حتى لو كانت الأفكار التمثيلية تشير إلى معرفة تتعلق بالكيانات أو الموضوعات الخارجية، فإنها لا تستطيع القيام بذلك إلا إذا كان لدى الذات بالفعل مفاهيم عن هذه الكيانات entities(٥٩).

ويبدو بالمثل أيضًا أن لوك يقبل النظرية التمثيلية للإدراك الحسي، ويرى أن بعض الأفكار الممثلة للأشياء هي نسخ مطابقة وصحيحة للأشياء الطبيعية، بينما نجد أن الكثير من الأفكار ليست كذلك(٦٠). ومن الملاحظ أن لوك قد اعتنق إلى جانب النظرية التمثيلية في المعرفة الرأي القائل إن الكلمات علامات للأفكار. فكل فكرة تناظرها كلمتها، والعكس بالعكس. ولقد كان هذا الرأي الباطل هو أصل نظرية الأفكار المجردة. وهكذا يتعين على لوك أن يقول إن التصريح بكلمة في حديث ما يستدعى الفكرة، وعلى هذا النحو تنتقل المعلومات من شخص إلى آخر(٦١).

وعلى العكس من ذلك إذا لم يكن هناك مفاهيم في نظرية المعرفة، وإذا تمسك المرء بشكل فريد بالأفكار التمثيلية، فإن الأخيرة تجعل من المستحيل إكتساب المعرفة التي تتعلق بالكيانات أو الموضوعات الخارجية. وبما أن هذه المعرفة سيكون من المستحيل الحصول عليها أو اكتسابها، فمن الطبيعي أن يكون من المستحيل تذكرها أو إيقاظها. وبالتالي فإن مثل هذه المعرفة ستكون مستحيلة بكل بساطة(٦٢). وبشكل أكثر دقة يرى سيرجينت أن معرفتنا بالموضوعات الخارجية لا يمكن تفسيرها إلا إذا افترض الشخص نوعاً من الهوية بين الغاية الجوهرية والمباشرة في العقل والموضوع الخارجي. إذ أنه يعتقد أن معرفتنا بهذه الأشياء ستكون مستحيلة إذا كانت الغاية الجوهرية والمباشرة لعمل العقل مجرد تشابه للأشياء الخارجية(٦٣). وبالتالي يمكن فحص بعض جوانب حجة سيرجينت:

ففي المقام الأول: يرى أن الطريقة الوحيدة التي يمكن للذات من خلالها معرفة ما إذا كانت الفكرة تشبه موضوعاً خارجياً بشكل مناسب هي بعدية a posteriori عن طريق المقارنة. ومن ثم فهو يستبعد ضمنياً التبرير القبلي a priori justification الذي يرتكز، كما هو الحال عند ديكارت، على ضمانة من خلال صدق الله أو الصدق الإلهي divine veracity.

ثانياً: إن القول بأن الذات لا يمكنها معرفة موضوع ما عن طريق فكرة، ما لم تقارن الفكرة بالموضوع، هو بمثابة القول بأن الذات لا يمكنها أبداً معرفة الموضوعات الخارجية بشكل فريد من خلال إدراك أفكارها. حيث إن هذا يعني أن إدراك the perception أو معرفة الأفكار لا يمكن أن ينتج معرفة بالموضوعات الخارجية، إلا إنه يعترف ضمناً بأن إدراك الأفكار يمكن أن يستدعي المعرفة التي كانت معروفة بطريقة سابقة ومستقلة عن إدراك الأفكار؛ ويترتب على ذلك أن الأفكار لا يمكن أن تتذكر أية معرفة، وهكذا لا يمكن أن تتذكر المعرفة بالموضوعات الخارجية.

ثالثًا: تزعم الحجة أن تكون بمثابة تقليل لنظرية الأفكار، حيث إن نظرية الأفكار يمكن أن تفسر معرفتنا بالأشياء الخارجية فقط إذا كانت تلك النظرية تستلزم معرفة الذات لتلك الموضوعات دون مساعدة الأفكار – أي أنه يجب أن تعرف الأشياء الخارجية دون وساطة الأفكار the mediation of ideas – وبالتالي، من وجهة نظر سيرجينت، فإن الآثار المترتبة على نظرية الأفكار تجعل الأفكار عديمة الفائدة تمامًا(٦٤).

الخلاف بين سيرجينت ومعاصره لوك حول الأفكار:

إذا نظرنا إلى الفكرة عند لوك فنجد أنها هي "موضوع العقل أثناء عملية التفكر"، فالفكرة هي كل ما نفكر فيه، فهي ليست مكتوبة في العقل ولكنها تظهر في الفكر كموضوع للتفكير أو موضوع نفكر فيه(٦٥). ولا يخفى وجوب وجود صلة بين المعرفة وأفكارنا، فلا إنفصال بين المعرفة والفكر. والحق إننا لا نصادف المعرفة إلا كفكر، والفكر فعل للعقل الذي لا يحتوي على غير الأفكار(٦٦). فالأفكار إذن تُعد عناصر أساسية في المعرفة.

فقد صنف لوك الأفكار طبقًا لاتفاقها مع المعلومات الحسية ومدى إمكانية إدراكها وما ينتج عنها طبقًا للتصنيف الثلاثي التالي. فالأفكار إما أن تكون ملائمة أو غير ملائمة، وإما أن تكون واقعية أو خيالية، وإما أن تكون صحيحة أو كاذبة، حيث إن هذا التصنيف الثلاثي الخاص به يميز الأفكار بمدى دقة ما تخبرنا به عن العالم... فمن ناحية أن الأفكار إما أن تكون واقعية أو خيالية؛ فإن الفكرة تكون واقعية لو كانت تصف أحد خصائص الموضوعات الدنيوية ولها أساس في طبيعة هذه الموضوعات(٦٧). والأفكار الواقعية هي أن تكون مطابقة للكينونة الحقة والوجود الحق للأشياء أو نماذجها الرئيسة. وبعبارة أخرى هي فكرة شيء ما موجود بالفعل. أما الأفكار الفانتازية فهي تلك التي ليس لها أساس في الطبيعة أو التي لا تطابق حقيقة الكينونة التي تشير إليها ضمنًا(٦٨).

يؤكد سيرجينت أن الوجود أو الكينونة هو الفكرة الأساسية البسيطة والتي تتدرج تحتها جميع الأفكار البسيطة الأخرى، فترتبط جميع المفاهيم الأخرى للشيء إلى جانب الوجود؛ بأنها إما تنتمي جوهرياً إلى الأشياء أو كما يشير إليها فهمنا الخارجى، لأن الأمر يجب أن يكون كذلك، وذلك لأنه لا يمكن أن يكون لدينا فكرة لا نهائية (اللاأنا أو اللاشيء)، ولكن هناك فكرة واحدة مطلقة بشكل تام هي فكرة الوجود. فالوجود هو حقيقة الشيء وهو ما يجعل الشيء يتوقف عن كونه ممكناً فقط. وعلاوة على ذلك فإن ما هو معروف لا يعرف إلا بالوجود كشيء... حيث إن الوجود هو الوجود، ولا يمكننا أن نفسره عن طريق أية فكرة أخرى مماثلة أو وجود أي شيء أخر(٦٩).

يرى سيرجينت أنه ليس هناك ما هو أكثر أهمية نحو إقامة نظام راسخ من المعرفة السليمة والحقيقية من وضع البداية في شرح واضح لواقع ووجود الأشياء(٧٠). ولذا يفترض سيرجينت منذ البداية أن لدينا معرفة بالأشياء، ويعتقد أن جميع البشر يوافقون على هذا الافتراض. ولكن السؤال إذن ليس هل لدينا معرفة بالعالم الخارجي knowledge of an external world، ولكن كيف نكتسب هذه المعرفة؟ إذا كانت هذه المعرفة غير مباشرة، كما توحي الطريقة الديكارتية، فلا يمكن أن تكون معرفتنا دائماً مؤكدة أو صحيحة. وبالتالي فإن الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها الحصول على معرفة جديرة بالثقة عن العالم هي من خلال الاتصال المباشر بهذا العالم. كما أن الهدف الضمني لسيرجينت هو تبرير الواقعية المباشرة وإظهار كيف أن المعرفة المباشرة للعالم ممكنة(٧١).

وبذلك يشير سيرجينت إلى ديكارت ولوك على أنهما أصحاب نزعة فكرية "ideists"، وينسب إليهما الاعتقاد بأن العقل يدرك على الفور أفكاره الخاصة فقط (باستثناء النفس التي يعتقد ديكارت أنها معروفة بالحدس المباشر)، والتي في حالة لوك، يأخذ سيرجينت أن تكون تشابهاً في العقل يمثل أشياء خارجية. ويتتبع جذور

النزعة الفكرية في المذهب الديكارتي القائل بأن وضوح الأفكار وتميزها هو دور الحقيقة؛ لأنها تقنع الديكارتيين بوضع أساس الحقيقة وإنتاجها في عقولهم وليس في الأشياء نفسها(٧٢).

ومن ثم يرفض سيرجينت مشروع ممارسة الفلسفة من منظور الذات الديكارتية؛ حيث إنه يعتقد أنها تتكر الطبيعة الحقيقية للإنسان ككائن قادر على أن يكون له اتصال إدراكي وعقلي مباشر مع العالم الخارجي ومن ثم يقوده تفاؤله المعرفي إلى التحدث باستهزاء عن استخدام ديكارت للشك المنهجي كوسيلة للوصول إلى الحقيقة؛ وذلك لأن طريقة ديكارت تدعو إلى الشك في جميع طرق المعرفة التي تستخدمها البشرية جمعاء، بل والأكثر من ذلك أنها تطلب منا أن نتخلى عن جميع أحكامنا السابقة ولا نقبل أي شيء على وجه اليقين(٧٣). كما ذهب إلى القول "إنني لن أكون قادراً على إرضاء ذكاءك الحاد دون البدء من البداية وهي أساس كل الحقيقة، وهذا ما أوحت لي به عبقريتي"(٧٤). وبالطبع فان هذا الكلام يُخطئ في فهم وجهة نظر ديكارت.

كما أن سيرجينت يشكو من أن لوك في يستخدم كلمة فكرة بشكل غامض؛ وذلك عندما يقول أنها تعبر عن كل ما يعنيه الاعتقاد أو الوهم أو أي شيء آخر يمكن أن يستخدمه العقل في التفكير. ومن ثم فإنه يستشهد بهذا كدليل واضح على أن لوك يراوغ في المصطلح؛ لأن الوهم والفكرة يختلفان بشكل كبير، مثل الجسد والنفس أحدهما مادي والأخر روحي. ومن الواضح أن الشيء نفسه يمكن أن يكون له طرق متنوعة لاظهار وتاكيد وجوده؛ أحدهما جسدي Corporeal والآخر عقلي أو روحي Intellectual or Spiritual(٧٥). وبالتالي ليس من الواضح على الإطلاق أن لوك يقصد "بالفكرة" ما يعنيه سيرجينت بالمصطلح.

حيث إن سيرجينت كثيراً ما يشير إلى لوك على أنه "المؤلف الفذ"، أو "الرجل العظيم"، وأنه من وقت لآخر عندما يكون سعيداً يجد نفسه متفقاً مع لوك،

حيث إنه يسمح لنفسه بتقديم تهنئة خاصة نموذجية إلى لوك، والتي – كما يدعي– لم يشاركها لفيلسوف معاصر أخر معروف بالنسبة له، ومع ذلك لا يوجد شيءٍ من هذه التهاني والتصالح فى لهجته عندما يبدأ في العمل على كشف نقاط الضعف الكبيرة في نظام لوك، وهو يرى أن من أكثر نقاط الضعف لدى لوك مرتبطة بالأفكار البسيطة(٧٦). وبالتالي من وجهة نظر سيرجينت لا يحق للوك ببساطة أن يقول إن الأفكار تشبه موضوعاتها بشكل مطلق(٧٧). ومع ذلك فإن سيرجينت لا يرفض بأي حال من الأحوال كل شيء في نظام لوك، بل على العكس من ذلك فهو يجد فيه الكثير مما يستحق الثناء(٧٨).

إن معالجة لوك العامة لواقع المعرفة، والتي تعتمد على علاقة المعرفة بالوجود الحقيقي؛ تمنح سيرجينت كما هو متوقع فرصة للتساؤل، من خلال وجهة نظر لوك التي تبدأ بأن لعقل لا يعرف الشيء في الحال أو بشكل مباشر، ولكن فقط من خلال تداخل الأفكار. فمعرفتنا تكون حقيقية بقدر ما يوجد توافق بين أفكارنا وواقع الأشياء. وهناك نوعان من الأفكار التي يمكننا التأكد من توافقها مع الأشياء وهي الأفكار البسيطة والأفكار المركبة(٧٩).

وبذلك يعترف سيرجينت بالاتفاق مع لوك في النقاط التالية، أولاً: إن العقل له مصادره الوحيدة للمعرفة، وهي إما أن تكون كائنات محسوسة خارجية أو عمليات العقل الداخلية. وثانيًا: إن الإنسان يفكر أولًا عندما يبدأ الإحساس أو الشعور لديه. ثالثًا: إن الانطباعات التي تركت على حواسنا هي أصل كل ما لدينا من معلومات. رابعًا: إن طبيعة العقل تجعل من الممكن استقبال أو تلقي هذه الضغوطات أي أنها سلبية(٨٠).

وبالتالي فإن ملاحظتنا سواء كانت ملاحظة الأشياء المحسوسة الخارجية أو ملاحظة عمليات العقل الداخلية أو الباطنية، وبعبارة أخرى سواء كانت إدراكًا بالحس

الخارجي أم تأملاً فكرياً هي التي تزود عقلنا بكل أدوات التفكير، ومن هذين الينبوعين تتبع كل أفكارنا[٨١]. ومن الجدير بالذكر أن كل محتويات العقل تشتق إما بواسطة الإحساس أو الانعكاس، والاسم الوحيد لكل الأشياء الموجودة في العقل والتي تشتق من الإحساس أو الانعكاس هي الفكرة[٨٢]. وعلى ذلك يفترض لوك أن الذهن يولد صفحة بيضاء خالية من كل الخصائص وبلا أية أفكار، تزودها التجربة بمضمونها الفعلي؛ ومن ثم يطلق لوك على هذا المضمون اسم الأفكار[٨٣].

كما أن سيرجينت يرى أن النفس أو العقل The Soul or the Understanding في البداية يكون خالياً من جميع أنواع المعرفة ويكون كالصفحة البيضاء Rasa Tabula، لأن النفس موجودة من جهة خالق النفس، وبما أن خالق الطبيعة أو النفس لا يفعل شيئًا عبثًا ولا يتصرف بلا داع؛ فإنه لا يفعل أي شئ على الإطلاق دون أسباب محددة مسبقًا، ومن ثم في حال كان للعقل أية مفاهيم أو معارف تم إدخالها إليه بخلاف ذلك عن طريق تلك الأسباب من شأنها أن تُبطِل مسار العوامل الطبيعية التي من شأنها أن تولد المعرفة فينا وتجعل الطبيعة تناقض نفسها... وبذلك سيكون من العبث أن أقول إن يدي وقلمي my Hand and Pen هما شيء واحد؛ لأنهما يشتركان معًا بطرق مختلفة في عمل الكتابة. ولذلك فإن العقل ليس لديه معرفة سابقة بل هو صفحة بيضاء قادرة على تلقي مثل هذه الانطباعات التي تولد المعرفة فيه[٨٤].

وبذلك ذهب لوك إلى أن أفكارنا تكون حقيقية طالما كان هناك انسجام بين أفكارنا الخاصة وطبيعة الأشياء. ولكن كيف يتوافق العقل مع أفكارنا عند استلامها ووصولها للعقل؟ وهذا يعني أن هناك نوعين من الأفكار[٨٥]. ومن ثم فقد بنى مذهبه الذي اقتنع به على الظن بأن جميع أفكارنا إما أن تكون أفكاراً بسيطة أي مستمدة من الإحساس أو من التأمل فيما تقوم به عقولنا أو تكون أفكاراً مركبة من مثل هذه الأفكار البسيطة[٨٦]؛ فالأفكار البسيطة هي الذرات التي تتألف منها كل معرفة.

والعقل يكون سلبيًّا في إدراك كافة الأفكار البسيطة وهو يستقبلها من الوجود والعمليات الأخرى مثل الإحساس والانعكاس. أما الأفكار المركبة فإن العقل يكون إيجابيًّا في تركيبها، وهي تلك التي تتكون من مزج بعض الأفكار البسيطة التي تتجمع معًا لتكوينها(٨٧).

الأحكام وحقيقة المعرفة عند سيرجينت:

يرى سيرجينت إننا لا نستطيع معرفة ماهية أي شئ إلا من خلال التعرف على حقيقته، والتي لا يجب أن تكون بالضرورة حقيقة مادية، لأن هذا لا يرقى إلا إلى فكرة مركبة أو إدراك a Complex Notion or Apprehension، ولكن لتشكيل مفهوم المعرفة فيجب أن نرى المفاهيم التي تفعلها تلك الحقيقة لتكون مترابطة صوريًا أو فعليًا(٨٨).

إن الحكم على الكلام الصحيح ليس مجرد رؤية أو معرفة أن المفاهيم متصلة ببعضها البعض، بل هو التصديق القلبي على أنها كذلك، ولكن نظراً لأنه لا يمكن معرفة أي شيء على هذا النحو، فسيترتب على ذلك أنه لن تكون هناك أحكام خاطئة. ومن ثم يضاف الحكم إلى مفهوم المعرفة على أنه تطويع كل الشكوك أو إصلاح ملكتنا الفكرية حول صحة أو خطأ أي شيء. ومن هنا يكون الحكم هو التأثير المباشر والناجم بالضرورة عن معرفتنا بأن المفاهيم مرتبطة حقًا، وهناك رأي يقول إن المعرفة تعمل على إصلاح فهمنا، وبالتالي فإن المعرفة هي الحكم، ولكن مفهوم المعرفة يتم اكتماله في رؤية المصطلحات المتصلة(٨٩).

من هنا نرى أن إصدار الأحكام على الأشياء من المعرفة الحقيقية هو أعظم كمال طبيعي تستطيع روحنا تحقيقه، نظراً لأنه لا يوجد شيء يمكن أن يُعرف أنه كذلك إلا ما هو كذلك بالفعل أو أنه صحيح بالفعل. فجميع الأحكام الناتجة عن المعرفة الحقيقية لا تملأ عقولنا بالحقائق فحسب، بل هي أيضاً التزام قوي بالحقائق وامتلاك آمن لتلك الهبات التي لا تُعد والتي هي أفضل الكمالات لفهمنا. ولما كانت

الحقيقة تستبعد من مفهومها كل الأخطاء المحتملة، فإنها تجعل من المستحيل أن نتبنى أي خطأ أثناء قيامنا بالحكم. ومن المؤكد أن ذلك يقودنا إلى السعادة الأبدية(٩٠).

إن هذا الحديث يربط الأفكار أو المفاهيم من أجل المعرفة أو يعبر عن حكم or Expresses a Judgment يُسمى اقتراحًا a Proposition، وبما أن الاقتراحات قد تكون في العقل والكلمات in the Mind and in Words، فإن معاني الكلمات نفسها تتماشى مع مفاهيمنا، ويترتب على ذلك أن المقترحات العقلية واللفظية تكون هي الشيء نفسه. ففي بعض الأحيان تستخدم الكلمة بمعنى الأحكام وأحيانًا بمعنى الاقتراحات(٩١).

وبذلك منذ أن قيل إن الأحكام أو الافتراضات Judgments or Propositions قد تكون صحيحة أو خاطئة، ولكننا لا نستطيع أن نتحدث عن الأحكام الكاذبة، ولكن من أجل تجنبها وهو أمر يسهل القيام به إذا كنا نريد معرفة الحق أو المعرفة الصحيحة. وفي المقام الأول من تلك الافتراضات أو الأحكام نجد الحقائق الأولى the First Truths والتي نسميها المبادئ الأولى First Principles. ومرة أخرى نظرًا لأن جميع الافتراضات إما واضحة أو غير واضحة، والافتراضات الغامضة لا يمكن أن تفيدنا في سعينا للعلم، فإنه يترتب على ذلك أن الافتراضات الواضحة فقط هي التي يجب معالجتها أو الإستفادة منها من قِبل أولئك الذين يهدفون إلى المعرفة العلمية؛ ومن ثم فإن الدليل الذاتي The Self-Evidence ينتمي إلى المبادئ الأولى؛ لأن المبادئ الأولى يجب أن تكون الأكثر وضوحًا والأكثر تعبيرًا عن الحقيقة التي يمكن تخيلها، وغير عرضة لأي خطأ. ولما كانت الكلمات عرضة للمراوغة التي من شأنها أن تولد الخطأ والغموض والتناقض، ومن ثم يجب ألا تكون المبادئ الأولى متطابقة من الناحية الصورية فقط(٩٢).

حيث إن افتراض "الوجود هو الوجود" تعد أوضح قضية دليل ذاتي يمكن تصورها من الموضوعات المعروفة، نظرًا لأن الوجود هو من أكثر الأفكار وضوحًا

التي يمكن العثور عليها بين جميع مفاهيمنا. وإذا نظرنا إلى اقتراح "الوجود ليس عدم الوجود"؛ فعندئذ نجد أن مفهوم الوجود باعتباره الأكثر بساطة والأكثر واقعية لا يمكن أن يسمح بأي تمييز بين أن تكون في جزء من الوجود وفي جزء من عدم الوجود... وهذا يعني أن كل ما يمكن قوله عن مثل هذه الموضوعات سيكون غير متماسك ومتناقض أيضاً(٩٣).

وبذلك يلاحظ سيرجينت أننا لا نفكر في شيء للوقوف بثقة إلا من خلال الوجود أو الكينونة أو نتمسك بالوجود على ما هو عليه حقًا؛ وهذا هو أحد تأكيداته لهذا المبدأ الأساسي لنظرية المعرفة الأرسطية، والتي كان الأسقف بطلر قد اختزل معناها إلى صيغة بسيطة لا تحتاج إلى تفسير وهي أن "كل شيء هو ما هو عليه وليس شيئًا آخر"... ولكنه –أيضاً– حسب رأى سيرجينت هو سلاح weapon ذو قيمة كبيرة في الجدل كونه الوسيلة الأكثر فاعلية لاسكات المشككين silence the sceptic، لأنه من خلال حل قضية متنازع عليها بحسب قضية متشابهة لا يستطيع المتشكك إلا الموافقة عليها(٩٤). ومن ناحية أخرى فإن التعريف الحقيقي مثل "الإنسان مخلوق عقلاني""A man is a rational creature" يفترض بالتأكيد الحقيقة البديهية لفرضيتي "الإنسان إنسان" و"الكائن العاقل هو مخلوق عاقل"" "A man is a man and "A rational creature is a rational creature"؛ أي تفترض القدرة على التعرف على هوية الإنسان والمخلوق العقلاني، ولكن الافتراض نفسه "الإنسان كائن عاقل" A man is a rational creature" يتمتع فقط بما يسميه سيرجينت "الدليل الذاتي العملي"(٩٥).

كما أن أول حكم من حيث طبيعة النفس أو العقل هو أن الإنسان موجود، وبما أن المفاهيم الأولى للعقل هي عن الإنسان نفسه وعن وجوده، وأن جميع الأحكام تصدر عن طريق تركيب أو مقارنة المفاهيم، وبالتالي فالحكم الأول الذي يملكه الإنسان عندما ينضج للحكم، هو أن يكون هو نفسه أو [أنا]... فقد زودتنا الأحكام

بوسائل المعرفة –إلى حد ما– بالطبيعة المميزة لكل الأشياء التي تؤثر علينا وعلى طبيعتنا، لأننا ندخل كل مفاهيمنا أو طبيعة الأشياء إلينا عن طريق الانطباعات من الموضوعات by Impressions from Objects؛ ومن خلال هذه الانطباعات أو من خلال تأثيرها علينا نعرف كيف تختلف هذه الأشياء عن بعضها البعض. حيث إن الاختلافات تشكل طبيعة الشيء من خلال تمييزه عن غيره، وبذلك فإن المعارف المتعلقة بكل الأشياء التي تؤثر على حواسنا يتم اكتسابها، إلى حد ما، من خلال الانطباعات المختلفة للموضوعات(٩٦). وبالتالي فإن التمييز بين هذه الفرضيات – من وجهة نظر سيرجينت– يعتمد في جزءٍ منه على الفهم وجزء منه على الطبيعة نفسها؛ نظراً لأن الشيء نفسه تم تصوره بشكل مختلف، فضلًا عن أن الانطباعات على الحواس التي تسبب تلك المفاهيم متنوعة بشكل طبيعي.

المعرفة العلمية والحجة البرهانية عند سيرجينت:

إن سيرجينت يشارك التجريبيين الجدد the new empiricists في الاعتقاد بأن المعرفة العلمية تستند في نهاية المطاف على تقارير التجربة الحسية، ولكنه غير راغب في إتباع هوبز ولوك في اعتبار مثل هذه المشاكل المتعلقة بالاستقراء induction سبباً لتقليل مكانة المعرفة المكتسبة من الحواس. وذلك لأن منهج سيرجينت في الاعتماد على الاستقراء في تشكيل معارفنا يختلف عن الاستقراء كما يفهمه التجريبيون الجدد. وبالنسبة لسيرجينت فإن المعرفة العلمية هي معرفة القوانين وليس التعميمات الاستقرائية(*)، مما يؤدي إلى تقوّية إيمان سيرجينت بأن التجربة يمكن أن توفر الأساس للمعرفة(٩٧).

وتُظهر نظرية المعرفة العلمية لسيرجينت Sergeant's theory of scientific knowledge تفاؤلاً معرفياً ملحوظًا فيما يتعلق بقدرتنا على إدراك وفهم الأشياء في العالم كما هي في الواقع، ومن ثم فإن ثقة سيرجينت بقدراتنا المعرفية ترتكز على إيمانه بصلاح أو خيرية الإله. حيث إنه يعتقد أن الإله قد زودنا بملكات

تمكننا من فهم الطبيعة الحقيقية للموضوعات أو الأشياء المادية ووضع تعريفات أو مفاهيم لها وجعلها حقيقية. وفي الواقع تأتي إمكانية تعريف الأشياء من الحقيقة الميتافيزيقية لطبيعة الأشياء كما خلقها الله(٩٨).

ومن الواضح أن سيرجينت قد أعاد طرح تفسيرات المسائل من خلال الميتافيزيقا، ومن ثم فلا شيء يبرز الاختلاف بين منهجية سيرجينت ومنهجية لوك بقوة مثل ما يفعل وجود الميتافيزيقا في كتابات الأول؛ فحيثما لا يستطيع تقديم تفسير مبني على التجربة أو الخبرة، فإنه لا يتردد في تقديم تفسير ميتافيزيقي، وحتى تفسيراته الظاهرة على أنها تجريبية ترتكز عادةً على وجهة نظر ميتافيزيقية.

ويبدو أن سيرجينت يعتقد أن الميتافيزيقا التي لم تقدم تفسيراً لمسائل معينة؛ مثل كيفية تدخل الأسباب المادية في الدماغ فكيف تسبب التفكير منذ البداية... فمن المعترف به عموماً أن التجريبية التي ترفض مبادئ العقل أو الافتراضات المسبقة للتفكير لا يمكن أن تبدأ بالعمل في المعرفة وبناء نظرية المعرفة التجريبية دون افتراض وجهة نظر ميتافيزيقية بشكل صريح أو ضمني؛ أي ما لم نستخدم الميتافيزيقا بالمعنى العام تجاه أي مجال من مجالات الخبرة(٩٩). فقد كان الإتجاه العقلاني لاكتساب المعرفة بعيداً عن حقيقة أو واقع الأشياء وغير مباشر للغاية وخاص بالنسبة لسيرجينت. ولهذا السبب أصبح جميع الديكارتيين ولوك تحت رقابة قلم سيرجينت(١٠٠).

وبذلك يعتقد لوك أنه من المستحيل بالنسبة للمبادئ الفطرية أن توضح لماذا يبتعد الناس عن الطريق الصحيح(١٠١). وقد بين أن المبادئ والأفكار تشكلت من خلال التجربة فقط، وقد ناقش ذلك من خلال نبذ ثلاث مصادر محتملة للأفكار: الكلام المنقوش inscription، والتقاليد أو الأعراف tradition، والإلهام أو الوحي الإلهي divine revelation؛ فقد ذهب إلى أن "الكلام المنقوش مرفوض على اعتبار أنه خطأ تافه، فلو بات حقيقيًا أن قانون الطبيعة مكتوب ومنقوش في قلوب كل

الناس، فإن كل الناس سوف تقبل بكل المبادئ الأخلاقية والمبادئ النظرية أو التأملية التي يعتقدون بها، وسوف يصبح الصغير والجاهل والهمجي على دراية وفهم بتلك المبادئ(١٠٢).

وبغض النظر عن مدى اتفاق سيرجينت مع دحض الأفكار الفطرية، فإنه يعتقد أن لوك في كتابه الأول يتعامل مع الميتافيزيقا بطريقة بها إزدراء بعض الشيء. ومما لا شك فيه أن سيرجينت هنا يحاول إثبات أن الميتافيزيقا يمكن أن تكون ذات أسس راسخة مثل الرياضيات. وهو هنا لا يقدم أي دليل على هذا الأساس القوى لمعرفة الواقع، ومع ذلك فإنه ينصح بعدم اتخاذ موقف متشكك(١٠٣).

ومن ثم لا بد أن تكون هناك أربعة أسباب تتفق مع كل نتيجة أو تأثير في الطبيعة؛ نظراً لأنه لا شيء يمكن أن يفعل شيئًا، ومن ثم يترتب على ذلك أنه لا يمكن فعل أي شيء ما لم يكن هناك سبب فعال. وبما أن مُنظِّم الطبيعة كلها أو السبب الأول هو كائن خارق وليس فرصة عشوائية أو عمياء Intelligent Being and not Blind Chance، وهذا السبب الأول أو مُنظِّم الطبيعة هو الحاكم المناسب للعالم. ومن حيث كونه كائناً خارقًا فهو يتصرف برؤية وتصميم مع الأمور مع توقع نهاية كل شيء يتم القيام به، لذا فهو خارق ودقيق للغاية. وبما أن الميتافيزيقا توضح أن الفعل المباشر للسبب الأول هو فقط إعطاء الكينونة أو الوجود Being، فإن حساب العالم economy of the World يتم إدارته حتمياً بواسطة كائنات ذكية أخرى تحت قيادته (سواء كانوا ملائكة أم رجالًا) (whether they be Angels or Men)، ومن ثم يجب أن يكون هناك سبب غائي أيضاً لكل تأثير يحدث في العالم. ولذا يجب أن يكون هناك بالضرورة أربعة أسباب أو علل تتفق مع كل تأثير في الطبيعة أي العلة الفاعلة، المادية، الصورية، والغائية The Efficient, Material, Formal, and Final؛ فعلى سبيل المثال في عملي لكتابة خطاب تكون: العلة الفاعلة هي نفسي، والعلة المادية هي الورقة؛ والعلة الصورية هي الأشخاص

المرسومة في الورقة؛ والعلة الغائية هي إرضاء صديقي واطلاعه على الأخبار(*)(١٠٤).

ويترتب على ذلك أن استمرار تلك الأسباب قد تستمر في التأثير نفسه وتجلب المعرفة بها إلى عصرنا. ويبدو في الواقع أن وجهة نظر سيرجينت لما أطلق عليه أرسطو "المصدر الأصلي لمعرفتنا العلمية" تقع في مكان ما بين الحدس العقلاني المحض لأرسطو وبين التجريبية الخالصة. ومن ثم يعد سيرجينت تجريبياً إلى الحد الذي يدرك فيه أن الأسباب الحقيقية يجب جمعها من مسار طويل من الملاحظة، ولكنه أيضاً عقلاني كما كان دائماً في الإصرار على أن تلك الأسباب الحقيقية قد تم اكتشافها، ليس من خلال المنهج نفسه وليس من خلال أداة الاستقصاء، ولكن من خلال القوى الاستبطانية للعقل البشري the introspective powers of the human mind(١٠٥).

ومن الأهمية بمكان ألا نستخدم هذين الوصفين "العقلية والتجريبية" بطريقة مفرطة في التحجر(١٠٦). حيث إننا نرفض صرامة الاتجاه العقلي في فهمه وتفسيره لفطرية الأفكار الأولية، كما نرفض تطرف الاتجاه التجريبي القائل بإرجاعها إلى الحس وحده، فمن الأفضل بالنسبة لنا أن نأخذ بالاتجاهين معاً أي العقل والحس؛ فهناك من الفلاسفة من نستطيع أن نُطلق عليه أنه فيلسوف تجريبي تجريبية معقلنة إن صح التعبير.

فلقد كرر سيرجينت المبادئ الأساسية لنظرية المعرفة أو العلم theory of knowledge or "science عند أرسطو كما يفهمها، على أن كل المعرفة العلمية الحقيقية هي معرفة برهانية، وكل نظام للمعرفة العلمية هو نظام استنتاجي deductive system على نموذج الهندسة؛ ولما كان النظام استنتاجي بالكامل فإن جميع الافتراضات المكونة له صحيحة من حيث الشكل، حيث إن إظهار حقيقته التفسيرية تتم من خلال إظهار الارتباط الضروري للمصطلحات في المبادئ الأولى. ومن خلال كتابات سيرجينت نجد ما يؤكد الأهمية الحاسمة للارتباط الضروري

للمصطلحات في صنع نظام توضيحي للمعرفة. كما أن ترابط المصطلحات هـذا لا يقدر إلا على أنه مناسب للنهوض بالعلم، ومن ثم فإننا لا نتوقع إمكانية اكتساب العلم ولا منهج العلم الراسخ إلا بذلك(١٠٧). ومن ثم فإن كـل هـذه الاسـتنتاجات يمكـن استنباطها من خلال الدليل البرهاني demonstrative evidence(١٠٨). كمـا أنـه يسند إلى المنهج الاستنباطي مهمة بناء افتراضات جديدة؛ وبالتالي فإن الاستنباط هو منهج سيرجينت الذي يتم من خلاله اكتشاف الحقائق الجديدة، فضـلاً عـن رفضـه للاستقراء باعتباره منهجاً للعلم؛ حيث إنه في ذلك يرى أن طريقة الجدل بالاسـتقراء لا يمكن أن تولد العلم أو المعرفة العلمية(١٠٩).

وبالنسبة لسيرجينت فإن تحديد سبب طبيعي حقيقي لتأثير ما وتفسيره بشـكل صحيح يعني إنشاء نظام برهاني ذاتي محدد بشكل كبير على نموذج الإثبـات فـي الهندسة والذي يضع التعريفات الأولية للمبادئ الحقيقيـة ويسـتخلص التناقضـات الحقيقية بين تلك التعريفات أي المعنى الشامل؛ وهو إثبات أن تلك التعريفـات هـي الأسباب الحقيقية التي نبحث عنها. ولذا يقـر سـيرجينت بـأن العلـم لا يتعامـل بالاحتمالات ولكن بالعلاقات المؤكدة، وهذه الحقيقة الراسخة التي هي هدف المشروع العلمي وغايته لا يمكن بلوغها إلا بالمنهج الذي وصفه أرسـطو؛ أي عـن طريـق تقريب منهج العلوم الطبيعية إلى منهج الهندسة(١١٠).

وفقًا لسيرجينت يمثل المنهج الرياضي بالنسبة له النموذج المثالي. فقد ادعى أن هذا يرجع إلـى حقيقـة أن الرياضـيات نهائيـة وبرهانيـة definitive and demonstrative. فقد وضع علماء الهندسة البديهيات axioms في شكل افتراضات بديهية self-evident وتعريفات واضحة؛ وهذه الافتراضات لا يوجد بهـا مجـال للشك أو التردد والتي تنال قبول الجميع. وبذلك فإن جميع المبادئ الأولى التي تقـوم عليها الرياضيات هي مبادئ بديهية(١١١). ولما كانـت المعرفـة العلميـة بالنسـبة لسيرجينت هي تلك المعرفة المؤكدة(*)، فمن أجل الحصول على مثل هـذه المعرفـة

يجب على العلم أن يعتمد فقط على منهج يؤدي إلى معرفة مؤكدة، وعليه فإن العلم يتمثل في بناء الحجج البرهانية؛ وهى عبارة عن حجج برهانية تُظهِر ارتباط مصطلحاتها بشكل بديهي مما يؤدي إلى معرفة مؤكدة(١١٢).

فالوضوح أو البرهان Demonstration بالنسبة إلى سيرجينت يتضمن دائماً شيئًا يوضح جوهره أو طبيعته، وأن الشيء هو ما هو عليه أو حقيقته الميتافيزيقيةwhat it is, or its metaphysical verity. والجوهر يتم التعبير عنه من خلال التعريفات الأساسية حسب الجنس والنوع. فعلى سبيل المثال يتم التعبير عن جوهر الإنسان من خلال "الإنسان حيوان عاقل"، ويتم التعبير عن الحقيقة الميتافيزيقية من خلال افتراض الهوية. فمثلًا يتم التعبير عن كلمة "أنا للإنسان" بواسطة "الإنسان هو الإنسان، ويترتب على ذلك أن لكل شيء توافق أو تطابق مع افتراض الهوية. وبذلك تعد الافتراضات التي هي إما حقائق بديهية أو تلك التي يمكن إثبات صحتها بوضوح من خلال البراهين التي تعتمد على الحقائق الواضحة في أدلتها؛ مجرد افتراضات علمية. حيث إن أعلى الحقائق هي حقائق بديهية، ومن ثم فإن افتراضات الهوية هي حقائق بديهية. وبالتالي فإن جميع افتراضات الهوية التي تعبر عن القيمة الحقيقية للأشياء هي الحقائق الأسمى وكل الحقائق الأخرى هي الحقائق الأدنى أو الأقل شأنًا(١١٣).

وطبقًا لذلك فمن أجل إظهار الحقائق عن الإنسان، فإن ما هو مطلوب هو التعريفات الأساسية، والتي تظهر من خلال الطرق التي ترتبط بها الأجزاء الأساسية للإنسان مع بعضها البعض، وبهذه الطريقة نحصل على بعض التعريفات التي تكشف معًا عن جوهر الإنسان. وهكذا فإن ما يفعله **البرهان** هو إظهار علاقات المعنى والعلاقات بين الأجزاء. ومن ثم يتم التعبير عن العلاقة من خلال التعريف الأساسي "الإنسان حيوان عاقل" وهو تعريف الإنسان بأكمله، وبالتالي يمكن أن يكون مصطلح الإنسان بمثابة الحد الأوسط من العرض، ومن الممكن باستخدام قواعد القياس

المنطقي بناء الحجة الصحيحة؛ وذلك من خلال ربط أو تحديد حدين بثالث (مصطلحين مع ثالث)؛ ولكي يتم تحديد الهوية بشكل عام أو خاص؛ فمن الواضح أن هناك طرقًا مختلفة لتحديدها(١١٤).

إن هذا يبين استخدام سيرجينت لأساليب الفهم من أجل القياس المنطقي الصحيح؛ لأن القياس المنطقي هو خطاب ابتكره المنطقيون الحقيقيون لاستنتاج قضية ثالثة من المقدمات، وذلك من خلال ربط الوسط بالأطراف ومن ثم نعرف أنه صحيح بالتأكيد، فعلى سبيل المثال(١١٥).

Bar – كل ما يثير السلالات في الكومنولث هو أمر سيء، ولكن

ba – كل دين يفرز في الكومنولث، إذن

Ra – كل دين سيء.

ولكن الأمر ليس كذلك وإلا فإن السيف والنبيذ Sword and Wine يجب أن يكونا سيئين؛ لأن أحدهما يساعد أحيانًا على ارتكاب جرائم القتل، والآخر يسبب حالة من السكر. فالطريقة الأكثر قوة وصلابة والتي تتوافق بشكل أفضل مع الأسباب المنطقية هو إنكار أن يكون قياسًا منطقيًا، لأنه على الرغم من أن صورته مشروعة إلا أن الأمر ليس بهذا الشكل(١١٦). وبذلك يبدو أن المذهب الأكثر غرابة لبناء الحقائق والمعارف التي يمكن للبشرية الحصول عليها أن يكون لها مثل هذا الأساس غير المستقر؛ وبالتالي فإن كل رؤية صورية للواقع – كونها فكرة مجردة – هي بالضرورة غير ملائمة أو غير كافية، في حين أنها تكون في الوقت نفسه واضحة ومتميزة.

وبطبيعة الحال إن ما ذكرناه لا يعني أن سيرجينت قد بلغ بكل شيء مبلغه، وأنه أحاط بكل شيء، فكما له هنا فإن عليه هناك، ولربما أعجبنا كثيراً مما قدم ولم يعجبنا القليل، ولكن ذلك بالطبع لا يقلل مما أنجزه، فهو بشر أولاً وأخيراً يصيب ويخطئ، وإننا لا نملك إزاء فلسفته إلا أن نَعُدَّهُ قد قدم عملًا يُشكر عليه.

الخـاتمة:

وهي عبارة عن النتائج التي استخلصناها من نظرية المعرفة عند سيرجينت:

- إن سيرجينت يبدو أنه تعرض لتأثيرات مماثلة في كامبريدج مثل التي تعرض لها لوك في أكسفورد؛ وهي تأثيرات مشابهة بما يكفي لجعله رافضًا أو شاكًا في الأفكار فطرية؛ ولذلك نجده متفقًا مع رفض لوك للأفكار الفطرية، ومختلف معه جوانب أخرى. كما أننا هنا لا نقصد إحياء ذكراه فقط، ولكن بالأحرى في أن نقده لديكارت ولوك سوف يساعد في تجميع وربط أجزاء الفكر الفلسفي.
- وجد سيرجينت أن أكبر خطأ في منهج ديكارت ولوك في البحث عن المعرفة يكمن في الطريقة التي يرجعون بها إلى الأفكار بدلاً من البدء بالموضوعات نفسها؛ حيث إن التمييز بين الأفكار والأشياء الذي اعترض عليه البعض؛ قد أشار إليه سيرجينت على أنه أصل الشك في كل من العقلانية الديكارتية وتجريبية لوك. فقد كان لدى سيرجينت تفسيره الخاص لمصطلح الفكرة، ولكنه كان مولعًا بالإشارة إلى أن الأشخاص الذين استخدموا هذا المصطلح وسعوا إلى بناء كل المعرفة عليه فشلوا في تقديم وصف محدد له.
- رفض سيرجينت مشروع ممارسة الفلسفة من منظور الذات الديكارتية؛ لأنه يعتقد أنها تتكر الطبيعة الحقيقية للإنسان ككائن قادر على أن يكون له اتصال إدراكي وعقلي مباشر مع العالم الخارجي، وبذلك تُظهر نظرية المعرفة العلمية لسيرجينت تفاؤلًا معرفيًا ملحوظًا فيما يتعلق بقدرتنا على إدراك وفهم الأشياء في العالم كما هي في الواقع من خلال الاتصال المباشر بهذا العالم؛ وبالتالي فقد قاده تفاؤله المعرفي إلى التحدث باستهزاء عن استخدام ديكارت للشك المنهجي كوسيلة للوصول إلى الحقيقة – وبالطبع إن هذا الكلام يُخطئ في فهم وجهة نظر ديكارت– ومن ثم فإن الهدف الضمني له هو تبرير الواقعية المباشرة وإظهار أن المعرفة المباشرة للعالم ممكنة.

- إن نقطة البداية الأساسية لجميع مجالات المعرفة التي ترغب في تحقيق اليقين المطلوب هي الفكرة أو شرح موضوعات هذا المجال كما هي موجودة في العقل؛ فالفكرة هي طريقة سيرجينت في السعي إلى بناء العلم أو أي مجال من مجالات المعرفة على أساس قوي، بحيث تكون النتيجة النهائية ليست يقيناً فحسب بل حقيقة أيضاً. فضلًا عن أن الأفكار هي ما يحدث في مفاهيم الإنسان؛ وما يحدث في مفهومه هو إدراك أن ما يظهر عندما نغلق أعيننا أو نسير في الظلام هو مجرد فكرة أو صورة. ومن ثم فإننا لدينا الإحساس الكامل بوجود موضوعات ومفاهيم يقينية وأمرها محسوم بالنسبة لنا، مثل فكرة صلابة الحجر؛ حيث إنه يوجد في داخلنا فكرة مسبقة عن صلابة الحجر لا تختلف كثيراً عن الفكرة التي تُقدم لنا والتي تقول إن الحجر صلب، ولكن عند تلقي الفكرة تكون تاكيداً لما نمتلكه من فكر سابق عن الشيء. وبالتالي قدم سيرجينت نظرية ساذجة للذاكرة، من وجهة نظر لوك، وغير كافية لشرح الحقائق، كما كانت وجهة نظر سيرجينت نفسه في نظريات الفلاسفة الآخرين.

- إن القول بإن الذات لا يمكنها معرفة موضوع ما عن طريق فكرة، ما لم تقارن الفكرة بالموضوع، هو بمثابة القول بإن الذات لا يمكنها أبداً معرفة الموضوعات الخارجية بشكل فريد من خلال إدراك أفكارها ومعرفتها؛ وهذا يعني أن إدراك أو معرفة الأفكار لا يمكن أن ينتج معرفة بالموضوعات الخارجية. ويعترف سيرجينت بأن إدراك الأفكار يمكن أن يستدعي المعرفة التي كانت معروفة بطريقة سابقة ومستقلة عن إدراك الأفكار. في حين يرى لوك أن معرفتنا للأشياء معرفة غير مباشرة تستلزم إلى جانب عنصري العقل والموضوع المادي عنصراً ثالثًا هو الفكرة أي فكرتنا عن الشيء؛ وأن الأفكار هي التي تُثْبتُ في عقولنا المعرفة.

- إن الطابع القوي لفلسفة سيرجينت ينبع من الخلاف الأساسي حول المعرفة؛ حيث إن الشيء نفسه يُعطَى كفكرة، وهذا يتناقض مع موقف أصحاب النزعة الفكرية. وتعد نظريته المعرفية موضوعية في طبيعتها؛ حيث إنها تشير مباشرة إلى طبيعة الأشياء، في حين أن نظرية أصحاب النزعة الفكرية ذاتية، وبالتالي فإنه يشكو من أن لوك يستخدم كلمة فكرة بشكل غامض ويرى أنه يراوغ في المصطلح؛ لأن الوهم والفكرة يختلفان بشكل كبير، مثل الجسم والنفس أحدهما مادي والآخر روحي، وبذلك ليس من الواضح أن لوك يقصد بالفكرة ما يعنيه سيرجينت بالمصطلح نفسه.

- إن المعرفة العلمية بالنسبة لسيرجينت هي تلك المعرفة المؤكدة؛ وذلك لأن التأكيد أو اليقين عنده هو سمة المعرفة الحقيقية، ومن أجل الحصول على مثل هذه المعرفة يجب على العلم أن يعتمد على منهج يؤدي إلى معرفة مؤكدة؛ وعليه فإن العلم يتمثل في بناء الحجج البرهانية. وبذلك فالمعرفة الحقيقية هي معرفة برهانية، وكل أنظمة المعرفة العلمية هي أنظمة استنتاجية على نموذج الهندسة؛ ونظراً لأن النظام استنتاجي بالكامل فإن جميع الافتراضات المكونة له صحيحة من حيث الشكل؛ حيث إن تفسير حقيقتهم تتم من خلال إظهار الارتباط الضروري للمصطلحات بشكل بديهي.

- إن جميع الأحكام الناتجة عن المعرفة الحقيقية، من وجهة نظر سيرجينت، لا تملأ عقولنا بالحقائق فحسب، بل هي أيضاً التزام قوي بالحقائق، ولما كانت الحقيقة تستبعد من مفهومها كل الأخطاء المحتملة، فإنها تجعل من المستحيل أن نتبنى أي خطأ أثناء قيامنا بالحكم، ومن المؤكد أن ذلك يقودنا إلى السعادة الأبدية؛ وذلك لأن العلم لا يتعامل بالاحتمالات ولكن بالعلاقات المؤكدة، وهذه الحقيقة الراسخة التي هي هدف المشروع العلمي وغايته لا يمكن بلوغها إلا بالمنهج الذي وصفه أرسطو؛ أي عن طريق تقريب منهج العلوم الطبيعية إلى منهج الهندسة؛ وبالتالي

فإن جميع افتراضات الهوية التي تعبر عن القيمة الحقيقية للأشياء هي الحقائق الأسمى وكل الحقائق الأخرى هي الحقائق الأدنى أو الأقل شأنًا.

إن الطريقة الوحيدة لاكتساب معرفة قوية بطبيعة الأشياء هي تلك المفاهيم المبنية على عدم وضع تكهنات والتعلق بها؛ وذلك للحصول على المعنى الحقيقي والأصلي لتلك الكلمات التي يستخدمها العوام من البشر؛ حيث إنه استخدم الكلمة (الفكرة) للتعبير عن الأفكار أو أي شيء يستخدمه العقل في التفكير للوصول إلى التعريف الصحيح. فضلًا عن أن الكلمات التي يعبر عنها بكلمات أخرى، نظراً إلى التشابه فيما بينهم هي استعارات مكنية أو مجازية، وأفضل الاستعارات هي عندما يكون الشيء المنبثق منها بارزًا تحت تلك الفكرة التي نعتزم التعبير عنها، كما هو الحال عندما نطلق على الرجل الشجاع اسم الأسد، والرجل الوديع بالحمل؛ ولذا فإن الكلام بأكمله هو استعاري أو مجازي. وبالتالي ذهب سيرجينت إلى أنه من الأهمية بمكان في الفلسفة ألا ننخدع بالألفاظ الواضحة أو الشخصيات البراقة، بل أن ننظر بعمق وانتباه إلى الشيء في حد ذاته، وأن نوجه أفكارنا نحو ما نجده؛ وذلك خشية أن نُشكل إطاراً ساخراً لمفاهيم من خيالنا لم تمنحنا إياها الطبيعة.

الهوامش

(1) Agee, Mary Marshall: John Sergeant and the New Empiricism, A Dissertation Presented to the Graduate Faculty of the University of Virginia in Candidacy for the Degree of Doctor of Philosophy, University of Virginia, May 2000, p. 13, 14.

(2) Bradish, Norman Conyers: John Sergeant, A Seventeenth Century Critic of Locke, A Dissertation Submitted to the Graduate School in Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree Doctor of Philosophy, Northwestern University, Evanston, Illinois, 1932, p. 20.

(٣) مكي، حسن محمد: المدخل إلى العلم والفلسفة والالهيات "نظرية المعرفة"، تصدير: جعفر السبحاني، الدار الإسلامية، بيروت– لبنان، ط ١، ١٩٩٠م، ص ١٤.

(٤) بشته، عبدالقادر: الأبستمولوجيا "مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٥م، ص ٤٢. وكذلك: شيفر، فرانسس: إله غير صامت، تعريب: جوزيف صابر، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٣٩.

(٥) الشنيطي، محمد فتحي: المعرفة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٥، ١٩٨١، ص ٥٤.

(6) Bradish, Norman Conyers: John Sergeant, A Seventeenth Century Critic of Locke, p. 1.

(7) Sergeant, John: An Account of The Chapter Erected By William, Titular Bishop of Chalcedon, and Ordinary of England and Scotland, With Preface and Notes By: William Turnbull, London: James Darling, 21, Little Queen Street, Lincoln's-Inn Fields, 1853, p. ix.

(8) Agee, Mary Marshall: John Sergeant and the New Empiricism, p. 13.

(9) Sergeant, John: An Account of The Chapter Erected By William, Titular Bishop of Chalcedon, and Ordinary of England and Scotland, p. ix.

(10) Krook, Dorothea: John Sergeant and His Circle "A Study of Three Seventeenth-Century English Aristotelians", Edited With an Introduction By: Beverley C. Southgate, E. J. Brill, Leiden. New York, KÖLN, 1993, p. 128.

(11) Op.cit. Loc.cit.

(12) Agee, Mary Marshall: John Sergeant and the New Empiricism, p. 13.

(13) Sergeant, John: An Account of The Chapter Erected By William, Titular Bishop of Chalcedon, and Ordinary of England and Scotland, p. ix. And, Bradish, Norman C. and John Sergeant: John Sergeant, A Forgotten Critic Of Descartes And Locke, p. 578.

(14) Bradish, Norman C. and John Sergeant: John Sergeant, A Forgotten Critic Of Descartes And Locke, Oxford University Press, The Monist, Vol. 39, No. 4, October, 1929, p. 571.

(15) Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, (1697), London, Drury Lane, p. 49.

(16) Bradish, Norman C. and John Sergeant: John Sergeant, A Forgotten Critic Of Descartes And Locke, p. 579.

(17) Yolton, John W.: Locke's Unpublished Marginal Replies to John Sergeant, University of Pennsylvania Press, Journal of the History of Ideas, Vol. 12, No. 4, Oct., 1951, p. 535, 536.

(18) Snyder, Ryan: The scientistic modern natural law theory: A Critical analysis of Thomas Hobbes's and John Locke's ontology, epistemology, and politics, B.S., University of Minnesota, 1993. Thesis Submitted in partial fulfillment of the requirements for the Master of Arts degree in Public Policy, Robertson School of Government Regent University, Virginia Beach, Virginia, 2001, p. 105.

(19) Yolton, John W.: Locke's Unpublished Marginal Replies to John Sergeant, p. 536.

(20) Krook, Dorothea: John Sergeant and His Circle, "A Study of Three Seventeenth-Century English Aristotelians", p. 96.

(21) Yolton, John W.: Locke's Unpublished Marginal Replies to John Sergeant, p. 532.

(22) Ibid., p. 536, 537.

(23) Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, p. 27, 28.

(24) Locke, John: An Essay Concerning Human Understanding, Produced by: Steve Harris and David Widger, Volume II, MDCXC, London, Based on the 2nd Edition, Books I, and II, and Books III, and IV, (of 4), 2004, Book IV, Ch XI, Sec 1, p. 207.

(٢٥) كوبلستون، فردريك: تاريخ الفلسفة، "المجلد الخامس"، ترجمة: محمود سيد أحمد، مراجعة وتقديم: إمام عبدالفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١٣٥.

(٢٦) شاخت، ريتشارد: رواد الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى كانط، ترجمة: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ١٤١، ١٤٢.

(27) Richards, Charles M.: Ralph Cudworth And The Power To Know, Submitted To The Department Of Philosophy And The Faculty Of The Graduate School Of The University Of Kansas In Partial Fulfillment Of The Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy, may 20, 2001, p. 81.

(28) Locke, John: An Essay Concerning Human Understanding, Book II, Ch 1, Sec 1, p. 71.

(29) Shimizu, Mitsuo: Epistemology In The Thought of John Wesley, A Dissertation Submitted To The Graduate School of Drew University In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree Doctor of Philosophy, 1980, p. 133.

(30) Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, p. 29.

(٣١) الشنيطي، محمد فتحي: مبحث في الفهم الإنساني لجون لوك، مجلة تراث الإنسانية، المجلد السابع، دار الرشاد الحديثة، القاهرة، ص ٤٣٨. وأيضاً فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، ص ١٠٢.

(32) Bradish, Norman Conyers: John Sergeant, A Seventeenth Century Critic of Locke, p. 36.

(33) Ibid., p. 36, 37.

(34) Sergeant, John: Transnatural Philosophy or Metaphysicks, (1700), London, MVSEVM BRITAN NICVM, Drury Lane, p. 50.

(35) Sergeant, John: The Method To Science, (1696), Preface, Books I-III, And Appendix, Ed. By: Jonathan Vajda, University at Buffalo (Suny), July 28, 2021, p. 25.

(36) Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, p. 24.

(37) Sergeant, John: The Method To Science, p. 26.

(38) Op.cit. Loc.cit.

(39) Ibid., p. 39.

(40) Bradish, Norman Conyers: John Sergeant, A Seventeenth Century Critic of Locke, p. 73, 74.

(41) Krook, Dorothea: John Sergeant and His Circle, "A Study of Three Seventeenth-Century English Aristotelians", p. 96.

(42) Bradish, Norman Conyers: John Sergeant, A Seventeenth Century Critic of Locke, p. 74, 75.

(43) Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, p. 24, 25.

(44) Sergeant, John: Transnatural Philosophy or Metaphysicks, p. 24.

(45) Sergeant, John: The Method To Science, p. 64.

(46) Wortham, Charles Warfield: John Locke's Philosophy of Language and its Relation to his Theory of Knowledge, submitted in partial fulfillment of the requirement for the degree of doctor of philosophy, in the faculty of Philosophy, Columbia University, 1967, p. 13.

(٤٧) كوبلستون، فردريك: تاريخ الفلسفة، ص١٥٣.

(48) Sergeant, John: The Method To Science, p. 64.

(49) Op.cit. Loc.cit.

(50) Ibid., p. 65, 66.

(51) Glauser, Richard: John Sergeant's Argument Against Descartes and The Way Of Ideas, Oxford University Press, The Monist, Vol. 71, No. 4, Descartes and His Contemporaries, October, 1988, p. 588.

(52) Ibid., p. 591.

(53) Nee, Laurence Dudley: Lockean Rhetoric And Toleration: The Place of Language In The Thought of John Locke, A Dissertation Submitted To The Graduate Faculty of The University of Dallas In Partial Fulfillment of Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy In Politics In The Institute of Philosophic Studies, May, 1998, pp. 59-60.

(54) Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, p. 29.

(55) Yolton, John W.: Locke's Unpublished Marginal Replies to John Sergeant, p. 537.

(56) Glauser, Richard: John Sergeant's Argument Against Descartes and The Way Of Ideas, p. 589, 590.

(57) Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, p. 31, 32.

(58) Ibid., p. 32.

(59) Glauser, Richard: John Sergeant's Argument Against Descartes and The Way Of Ideas, p. 591.

(٦٠) أبو ريان، محمد علي: تاريخ الفكر الفلسفي "الفلسفة الحديثة" ،ج ٤، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ص ١٦٦.

(٦١) رسل، برتراند: حكمة الغرب "الفلسفة الحديثة والمعاصرة"، الجزء الثاني، ترجمة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٧٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر، ١٩٨٣م، ص ٩٤.

(62) Glauser, Richard: John Sergeant's Argument Against Descartes and The Way Of Ideas, p. 592.

(63) Ibid., p. 588.

(64) Ibid., p. 592, 593.

(٦٥) إسلام، عزمي: جون لوك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، "مكتبة الأسرة"، ٢٠٠٦م، ص ٦٣.

(٦٦) شاخت، ريتشارد: رواد الفلسفة الحديثة، ص ١٤٦.

(67) Fisher, Saul L.: Constructive Skepticism and the Philosophy of Science of Gassendi and Locke, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree Master of Arts, Rice University, Houston, Texas, April, 1992, p. 81, 82.

(٦٨) شاخت، ريتشارد: رواد الفلسفة الحديثة، ص ١٤٥.

(69) Bradish, Norman Conyers: John Sergeant, A Seventeenth Century Critic of Locke, p. 204, 205.

(70) Ibid., p. 48.

(71) Yolton, John W.: Locke's Unpublished Marginal Replies to John Sergeant, p. 548.

(72) Agee, Mary Marshall: John Sergeant and the New Empiricism, p. 82.

(73) Sergeant, John: Non Ultra or A Letter to A Learned Cartesian, Settling The Rule of Truth and First Principles Upon Their Deepest Grounds, London, MDCXCVIII, P. 7.

(74) Ibid., p. 8.

(75) Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, p. 3.

(76) Krook, Dorothea: John Sergeant and His Circle, "A Study of Three Seventeenth-Century English Aristotelians", p. 103.

(77) Agee, Mary Marshall: John Sergeant and the New Empiricism, p. 100.

(78) Krook, Dorothea: John Sergeant and His Circle, "A Study of Three Seventeenth-Century English Aristotelians", p. 103.

(79) Bradish, Norman Conyers: John Sergeant, A Seventeenth Century Critic of Locke, p. 75.

(80) Ibid., p. 45.

(81) Locke, John: Essay Concerning Human Understanding, Book 11, ch I, sec 2, p. 71.

(82) Foster, Adam Jay: The Human Mind and the Perception of Nature: Ideas, Judgment and Signs in Thomas Reid and Early Modern Philosophy, A thesis submitted in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, institute for the History and Philosophy of Science and Technology, University of Toronto, 2004, p. 169.

(٨٣) سبنسر، ليود ، أندرزيجي كروز: أقدم لك... عصر التنوير، ترجمة: إمام عبدالفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٢٠. وكذلك برتراند رسل: حكمة الغرب "الفلسفة الحديثة والمعاصرة"، ج٢، ص ١١١.

(84) Sergeant, John: The Method To Science, p. 89.

(85) Joeckel, Samuel: The Fiction of Happiness: Eighteenth-Century Experience, Epistemology, And Aesthetics, A Dissertation Submitted To The Faculty of Claremont Graduate University In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy In The Graduate Faculty of English, Claremont, California, 2002, p. 62.

(٨٦) شاخت، ريتشارد: رواد الفلسفة الحديثة، ص ١٣٨.

(87) Locke, John: Essay Concerning Human Understanding, Book II, ch XXII, sec 2, p. 231. And see, Snyder, Ryan: The scientistic modern natural law theory: A Critical analysis of Thomas Hobbes's and John Locke's ontology, epistemology, and politics, p. 109-110. And see also, Chappell, Vere: Locke's theory of ideas, in the Cambridge companion to Locke, Cambridge, Cambridge University press, 1994, p. 37.

And see, Smith, Donald Thomas: John Locke's concept of a reasonable Christianity, A Dissertation Presented to the Graduate Faculty of Dedman College, Southern Methodist University in Partial Fulfillment of the Requirements for the degree of Doctor of Philosophy, with a Major in Religious Studies, December 13, 1997, p. 143.

(88) Sergeant, John: The Method To Science, p. 69.

(89) Op.cit. Loc.cit.

(90) Ibid., p. 70.

(91) Op.cit. Loc.cit.

(92) Ibid., p. 75, 76.

(93) Ibid., p. 77, 78.

(94) Krook, Dorothea: John Sergeant and His Circle, "A Study of Three Seventeenth-Century English Aristotelians", p. 74.

(95) Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, p. 6.

(96) Sergeant, John: The Method To Science, p. 89, 90.

(*) For Sergeant, scientific knowledge is knowledge of laws, not of inductive generalizations.

(97) Agee, Mary Marshall: John Sergeant and the New Empiricism, p. 43, 44.

(98) Ibid., p. 44.

(99) Yolton, John W.: Locke's Unpublished Marginal Replies to John Sergeant, p. 542.

(100) Ibid., p. 541.

(101) Richards, Charles M.: Ralph Cudworth And The Power To Know, p. 80.

(102) Schelden, Peter: The Sinner And The Saint: Lockean Epistemology Reworked In The Fiction of Samuel Johnson And John Gleland, A Thesis Presented To The Department of English, California State University, Long Beach, In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree Master of English, August 2008, p. 12.

(103) Bradish, Norman Conyers: John Sergeant, A Seventeenth Century Critic of Locke, p. 45.

(*) For Example, in my Action of Writing a Letter, the Efficient Cause is my self: the Material Cause, is the Paper; the Formal, the Characters drawn in the Paper; and the Final, to gratify my friend, acquaint him with News.

(104) Sergeant, John: The Method To Science, p. 112, 113.

(105) Krook, Dorothea: John Sergeant and His Circle, "A Study of Three Seventeenth-Century English Aristotelians", p. 80.

(١٠٦) رسل، برتراند: حكمة الغرب "الفلسفة الحديثة والمعاصرة"، ج ٢، ص ٨٢، ١٠٧.

(107) Krook, Dorothea: John Sergeant and His Circle, "A Study of Three Seventeenth-Century English Aristotelians", p. 84.

(108) Yolton, John W.: Locke's Unpublished Marginal Replies to John Sergeant, p. 536.

(109) Smith, Lorne Albert: The Logic Of Concept Formation In Empiricist Philosophy And Chemistry, From Locke And Lavoisier To John Stuart Mill, A Thesis Submitted in Conformity With The Requirement For The Degree of Doctor of Philosophy in The University of Toronto, 1983, p. 63.

(110) Krook, Dorothea: John Sergeant and His Circle, "A Study of Three Seventeenth-Century English Aristotelians", p. 94, 95.

(111) Bradish, Norman Conyers: John Sergeant, A Seventeenth Century Critic of Locke, p. 19.

(*) For Sergeant, scientific-knowledge is knowledge that is certain.

(112) Smith, Lorne Albert: The Logic Of Concept Formation In Empiricist Philosophy And Chemistry, From Locke And Lavoisier To John Stuart Mill, p. 47.

(113) Ibid., p. 47, 48.

(114) Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, p. 37.

(115) Sergeant, John: The Method To Science, p. 151.

(116) Op.cit. Loc.cit.

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولًا: المراجع العربية:

- أبو ريان، محمد علي: تاريخ الفكر الفلسفي "الفلسفة الحديثة"، ج ٤، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- إسلام، عزمي: جون لوك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، "مكتبة الأسرة"، ٢٠٠٦م.
- الشنيطي، محمد فتحي: المعرفة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٥، ١٩٨١.
- الشنيطي، محمد فتحي: مبحث في الفهم الإنساني لجون لوك، مجلة تراث الإنسانية، المجلد السابع، دار الرشاد الحديثة، القاهرة.
- بشته، عبدالقادر: الأبستمولوجيا "مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
- رسل، برتراند: حكمة الغرب "الفلسفة الحديثة والمعاصرة"، الجزء الثاني، ترجمة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٧٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر، ١٩٨٣م.
- سبنسر، ليود، أندرزيجي كروز: أقدم لك... عصر التنوير، ترجمة: إمام عبدالفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- شاخت، ريتشارد: رواد الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى كانط، ترجمة: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
- شيفر، فرانسس: إله غير صامت، تعريب: جوزيف صابر، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨م.
- كوبلستون، فردريك: تاريخ الفلسفة، "المجلد الخامس"، ترجمة: محمود سيد احمد، مراجعة وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.
- مكي، حسن محمد: المدخل إلى العلم والفلسفة والالهيات "نظرية المعرفة"، تصدير: جعفر السبحاني، الدار الإسلامية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٩٠م.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

- Agee, Mary Marshall: John Sergeant and the New Empiricism, A Dissertation Presented to the Graduate Faculty of the University of Virginia in Candidacy for the Degree of Doctor of Philosophy, University of Virginia, May 2000.
- Bradish, Norman C. and John Sergeant: John Sergeant, A Forgotten Critic Of Descartes And Locke, Oxford University Press, The Monist, Vol. 39, No. 4, October, 1929.
- Bradish, Norman Conyers: John Sergeant, A Seventeenth Century Critic of Locke, A Dissertation Submitted to the Graduate School in Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree Doctor of Philosophy, Northwestern University, Evanston, Illinois, 1932.
- Fisher, Saul L.: Constructive Skepticism and the Philosophy of Science of Gassendi and Locke, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree Master of Arts, Rice University, Houston, Texas, April, 1992.
- Foster, Adam Jay: The Human Mind and the Perception of Nature: Ideas, Judgment and Signs in Thomas Reid and Early Modern Philosophy, A thesis submitted in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, institute for the History and Philosophy of Science and Technology, University of Toronto, 2004.
- Glauser, Richard: John Sergeant's Argument Against Descartes and The Way Of Ideas, Oxford University Press, The Monist, Vol. 71, No. 4, Descartes and His Contemporaries, October, 1988.
- Joeckel, Samuel: The Fiction of Happiness: Eighteenth-Century Experience, Epistemology, And Aesthetics, A Dissertation Submitted To The Faculty of Claremont Graduate University In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy In The Graduate Faculty of English, Claremont, California, 2002.
- Krook, Dorothea: John Sergeant and His Circle "A Study of Three Seventeenth-Century English Aristotelians", Edited With an Introduction By: Beverley C. Southgate, E. J. Brill, Leiden. New York, KÖLN, 1993.

- Locke, John: An Essay Concerning Human Understanding, Produced by: Steve Harris and David Widger, Volume II, MDCXC, London, Based on the 2nd Edition, Books I, and II, and Books III, and IV, (of 4), 2004.
- Nee, Laurence Dudley: Lockean Rhetoric And Toleration: The Place of Language In The Thought of John Locke, A Dissertation Submitted To The Graduate Faculty of The University of Dallas In Partial Fulfillment of Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy In Politics In The Institute of Philosophic Studies, May, 1998.
- Richards, Charles M.: Ralph Cudworth And The Power To Know, Submitted To The Department Of Philosophy And The Faculty Of The Graduate School Of The University Of Kansas In Partial Fulfillment Of The Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy, may 20, 2001.
- Schelden, Peter: The Sinner And The Saint: Lockean Epistemology Reworked In The Fiction of Samuel Johnson And John Gleland, A Thesis Presented To The Department of English, California State University, Long Beach, In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree Master of English, August 2008.
- Sergeant, John: An Account of The Chapter Erected By William, Titular Bishop of Chalcedon, and Ordinary of England and Scotland, With Preface and Notes By: William Turnbull, London: James Darling, 21, Little Queen Street, Lincoln's-Inn Fields, 1853.
- Sergeant, John: Non Ultra or A Letter to A Learned Cartesian, Settling The Rule of Truth and First Principles Upon Their Deepest Grounds, London, MDCXCVIII.
- Sergeant, John: Solid Philosophy Asserted Against the Fancies of the Ideists, London, Drury Lane, 1697.
- Sergeant, John: The Method To Science, (1696), Preface, Books I-III, And Appendix, Ed. By: Jonathan Vajda, University at Buffalo (Suny), July 28, 2021.
- Sergeant, John: Transnatural Philosophy or Metaphysicks, London, MVSEVM BRITAN NICVM, Drury Lane, 1700.

- Shimizu, Mitsuo: Epistemology In The Thought of John Wesley, A Dissertation Submitted To The Graduate School of Drew University In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree Doctor of Philosophy, 1980.
- Smith, Donald Thomas: John Locke's concept of a reasonable Christianity, A Dissertation Presented to the Graduate Faculty of Dedman College, Southern Methodist University in Partial Fulfillment of the Requirements for the degree of Doctor of Philosophy, with a Major in Religious Studies, December 13, 1997.
- Smith, Lorne Albert: The Logic Of Concept Formation In Empiricist Philosophy And Chemistry, From Locke And Lavoisier To John Stuart Mill, A Thesis Submitted in Conformity With The Requirement For The Degree of Doctor of Philosophy in The University of Toronto, 1983.
- Snyder, Ryan: The scientistic modern natural law theory: A Critical analysis of Thomas Hobbes's and John Locke's ontology, epistemology, and politics, B.S., University of Minnesota, 1993. Thesis Submitted in partial fulfillment of the requirements for the Master of Arts degree in Public Policy, Robertson School of Government Regent University, Virginia Beach, Virginia, 2001.
- Snyder, Ryan: The scientistic modern natural law theory: A Critical analysis of Thomas Hobbes's and John Locke's ontology, epistemology, and politics, p. 109-110. And see also, Chappell, Vere: Locke's theory of ideas, in the Cambridge companion to Locke, Cambridge, Cambridge University press, 1994.
- Wortham, Charles Warfield: John Locke's Philosophy of Language and its Relation to his Theory of Knowledge, submitted in partial fulfillment of the requirement for the degree of doctor of philosophy, in the faculty of Philosophy, Columbia University, 1967.
- Yolton, John W.: Locke's Unpublished Marginal Replies to John Sergeant, University of Pennsylvania Press, Journal of the History of Ideas, Vol. 12, No. 4, Oct., 1951.